النسمات

مقالات اجتماعية حول المرأة والرجل

﴿ بقلم ﴾

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة ﴾

يوم كنت أظن الحياة لعبة إذا بدت على أي
سنة وربما أكثر في أي عيه
أظن كما لعب يا دع

سنة ١٩٢٩

يطلب من المؤلفة ومكتبة ومطبعة المعارف بالمنصوره

مطبعة ومكتبة المعارف بالمنصوره - تليفون ٢٣٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يبعث القوة في نفوس ما زالت في مهد المعرفة صبية فيوحي إليها الصراحة الحقة والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من صدق بمن نطق ، وعلى آله ضياء الغسق ونظام النسق .

المقدمة

وأراد بفضل من عنده الاستاذ الاديب جورج افندى طنوس محرر جريدة الاهرام ورئيس تحرير كوكب الشرق أن يقدم النسمات إلى قرائها باعثاً فيها روح الحياة الحقة ، فله مني ومن القراء جزيل الشكر ووافر الثناء ؟ المؤلفة

حميد العلايلي

كلمة الاستاذ الاديب جورج طنوس

صدر حكم أدبي « مشمول بالنفاذ » يقضي بأن يقدم هذا الضعيف المتعب كتاب « النسمات » إلى قرائه .

ولو جاز لي الاعتراض على هذا الحكم ، من طريق « المعارضة » او من طريق « الاستئناف » لاعترضت عليه بكل قوة ، لأن « النسمات » ليست في حاجه إلى من يعبد لها سبيلها . فالناس في حاجة إليها وبخاصة في مثل هذه الساعة التي أكتب فيها هذه السطور « منتصف ليل اليوم الثاني من شهر اغسطس سنة ١٩٢٩ »

النسمات رسول الحياة الذي ينعش النفس الخاملة والعاطفة الراكدة ، فما بالك « بالنسمات » الروحية التي تهب عليك من بين دفتي هذا الكتاب الصغير الذي هو اعتقادي أراء حرة هي الهام النفس ووحي الضمير .

ولم تكن لي ندحة من تصفح « النسمات » لاستطيع أن أسطر كلمة عنها ، فخرجت من تصفحها بحقيقة لا ريب فيها ، هي أن الآنسة الفاضلة « جميلة محمد العلايلي » تركت الخفر ، داخل الحذر اما يراعها فاعتنق مبدأ الصراحة ، فكانت جريئة شجاعة فيما

كتبت ، وإن لم يكن « لنسماتها » من ميزة غير ذلك لكفى لها بها تخليداً .

نحن فى نهضة وطنية عامة ، شملت كل ناحية من نواحي الحياة ، وتغلغلت روحها في الجنس اللطيف من أعـوام ، فرأينا للأوانس والعقيلات مواقف دونها مواقف الرجال .

ولـكن هذه النهضة تريد برهاناً ماموساً على صحتها ، ودليلا قاطعاً ناطقاً بها ، وما « النسمات » إلا ذلك البرهان وهذا الدليل .

لقد كانت الآنسة والمرأة تخشى كلتاهما الـكتابة ، كما تخشى عدواً مبينا .

وكانت الـكتابة إلى أعوام قليلة مضت ، معابة إذا صدرت عن صاحبة الخدر ، لأنهم لم يقفوا عنـد تحريم السفور عليها ، بل جاوزوا الحد ، فجعلوه شاملا حتى يراعها ، كأنه قضى على قلمها أن يشاطرها حجابها إلى أن يقضيا معاً في ذمة الله .

ولـكن النهضة المصرية الاخيرة مزقت ذلك الستر الذي كان يحجب أقلام الاوانس والعقيلات عن السفور ، وكان بين الاقلام السافرة قلم صاحبة النسمات الفاضلة الشجاعة .

فلها مني، ومن كل راغب في نهوض المرأة نصف المجتمع الانسانى تحية أطهر من دموع الفجر، وأجمل من ليلة القدر، وأبدع رواء من نور البدر.

فالى الامام ياسيدتى، فبالمرأة وبالمرأة العاملة وحدها تنال مصر ما تشتهي وتصبو إليه ؟ جورج طنوس

الاهـــداء

إلى النابغة الاديبة الآنسة مى

خير الحديث ما كان صادراً من القلب يسير بمقتضي الفكر الشخصى الصريح، لا يخشي نقد كاتب لركاكة أسلوبه، ولا لوم أديب لبعد أفكاره بل يمرح في فضاء العقل حراً صريحاً.

وهأنذا أضع مؤلفي التي استخرجت معانيه من بين طيات أفكارى الصبيانية. واتخذت كلماته من أنغام موسيقى روحى الشعرية. أضعه بين يديك وتحت ناظريك. لا لتقرئى آياته وتستفسرى معانيه. فأنت بعيدة عن هذا الضرب من الركاكة والخضوع.

بل لتستشفي من بين سطوره صورة حقة ، من معنى هدية عاطفة صادقة أوحاها إليك الحب الخالص ، وما دام في الحديث صدق الروح لا شك أنه أعظم من حديث كله تهذيب وتمنيق لعبت به أفكار المعرفة الظاهرية .

وهذا المؤلف وإن كان حقيراً إلا أنه سيعظم قدراً عندما أعلم أنك تقبلتينه وأدركت سره وشفيعي عند أبناء وطني الأعزاء، أنه حديث خلو من المداهنة والمداعبة الكلامية — إذ قد سرت بدافع العاطفة الروحية في تيار الخيال الحقيق الذي يمهد لكل من يشاركني في الشعور والوجدان ، السعادة الحقة في حياته وإن كانت المعرفة آتية من وراء حجاب بعيد . لكنها توحي إلى القلب الراحة والطمأنية .

أرجو الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لخدمة الوطن العزيز، ويهدينا سواء السبيل ؟

المؤلفة

جميلة العلايلي

المرأة والعائلة

كما أن الفتاة مدعوة إلى تأسيس أسرة كبيرة تزيد وتنمو بها حياة البلاد ، فهي مدعوة أيضاً إلى تربية تلك البذور التي تغرسها بيديها في الكبر حتى تثمر أطيب الثمر ، ولأنها لا تستطيع أن تكافح الحياة وحدها ، يجب أن تصطفي لنفسها رجلا يشاركها في سراء الحياة وضرائها ويهديها إلى سبل الحياة الحقة ، إذ ليس من الممكن أن تقوم المرأة بمتاعب الحياة وحدها أو الرجل وحده ، فكل منهما له نصف العمل في الحياة ، وكلاهما محتاج للآخر .

لذا ليس من العدل أن يدعي الرجل القوة ويتهم المرأة بالضعف ، إذ لو أراد ربك أن تكن المرأة عبدة للرجل لخلقها من قدمه ، ولو أرادها سيدة له لخلقها من رأسه ، لكنه أرادها صاحبة وندا له فخلقها من جنبه. ولو أغضب هذا التخريف سادتي المجددين

فالمرأة الأمل والرجل الرجاء ، المرأة الروح والرجل الحياة ، المرأة السعادة والرجل الغبطة ، وكلاهما أنشودة الآخر . فلتكن المرأة مليكة عرش الرجل وليكن الرجل متكئها الذي تشعر بالراحة

والطمأنية إليه — لتثقف المرأة روحها حتى تكون مزيجاً عذباً من الاخلاص والاقدام والارادة كي تجعل بيت زوجها فردوساً هو الاساس في بناء هيكل الوطن، وهو المدرسة الاولى التي يلقن فيها النشء دروس الانسانية .

وإذا كان الواقع يحدثنا أن دور بلادنا يحفها الشقاء عكس ما نراه واضحاً جلياً فى دور العائلات الغربية التي تمرح بلادهم في أجواء طيبة هنية . والسر في تقدم بلادهم يرجع لجودة نظام منازلهم

إلى هنا أريد أن أجتاز المقدمة خطوة أخرى إلى التعليم في مصر ، إذ المدارس كثرت في بلادنا ولكنها مع الاسف لم تجد نفعاً

هنا في مصر مدارس كثيرة شرقية ، وأجنبية وليت المدارس الشرقية الراقية تسير على منهج المدارس الغربية فيما يلائم جو البلاد ولكن تخالفها في العادات والأخلاق بما يلائم بيئتنا المصرية ،

ويرجع سبب التأخير إلى أن الراقية منها يديرها سيدات أجنبيات ، ظناً من أولي الأمر أنهن القادرات على حفظ رقي تلك المدرسة والنتيجة أن كل مدرسة تسير على عادات وطبائع ناظرتها ومدرساتها، ولا تحمل تلك المدارس بين أرجائها إلا فتيات العائلات

الراقية إذ أن أولي الأمر تتوهم أن أجدى التعليم « ما درس في المدارس الاجنبية » حتى إذا انتهت البنات من المدرسة سارت كل واحدة منهن على مبادئ معلماتها ، فمن تربت في مدرسة فرنسية قلدت معلماتها في المبادئ والعادات والأخلاق الفرنسية وتركت عادات بلادها ومبادئها ولغتها المحترمة وهكذا ؟ . . . فتضيع طبعاً مصلحة البنت ومصلحة البلاد معاً على أننا لو نظرنا إلى البلاد الاجنبية نجدها خلواً من المدارس الاجنبية، لذا نرى أن رقيها دائم وحالها مستمر على مبدأ واحد .

وليت الأمر قاصر على ذلك بل نرى الفتاة المصرية التي تذهب هناك لتتغذى بلبان العلم وتمكث عدداً من السنين القليلة . تنال من المدنية قسطاً وافراً وتقلدهم تقليداً أعمى حتى إذا عادت إلينا تناست كل شئ يحيط بها وأنكرته وتناست مبادئها ولغتها وليتها بدل ذلك كله أخذت عنهم ما ينفع أمتها ويعود عليها بالنفع الجزيل ، وهذا التغير يكثر في النساء أكثر من الرجال ، وهذا حق مر يبكينا — ولا أخادع نفسي لو قلت ان للرجال مساوئ اخرى فالبنت المصرية في حاجة للمدارس التي تتعلم فيها فضائل أخلاقنا

وكيفية تدبير المنزل المصري وتهيئة جوه الصحي والعناية بأطفالها حتى تنمو أطفالها وتصير شباباً متيني التكوين .

كما أنه يجب أن تدرس البنت ماهية الحياة الزوجية قبل أن تلج بابها وأن تجعل رائدها ثقة القلب والروح .

تلك الثقة التي تهب الزوجة إرادتها وإخلاصها وعنايتها إلى زوجها ، وليس هناك أدعى إلى صون كرامة المرأة من ثقة الرجل بها ، تلك الثقة هي روح العائلة ، وبتلك الثقة يهنأ الزوجان وتسعد جميع أفراد العائلة صغاراً وكباراً — ومن أركان هذه الثقة التصديق ، فكل تكذيب يصدر من أحدهما للآخر إنما هو جناية كبرى على السعادة العائلية ، فالسيدة التي ترتاب إذا ماتأخر زوجها لاول عهده ولاتحسن الظن به تعمل على قتل الثقة العائلية ، والرجل الذي يشك في تصرف زوجه دون ظهور سوء هذا التصرف واضحاً يعمل على شقاء نفسه وعائلته — وليس في وسعنا أن نتلاشى هذا الشقاء بغير الصراحة التي يجب أن تساعدنا البرامج المدرسية على بثها في نفوس التيلمذات غير مطلقة بل محوطة بالعقل والروية

ولا غرو أن الثقة بين الزوجين تبعث في جو الدار أغاريد

روحية تحبونا أبداً بالقوة على العمل والاخلاص في القول والعون على سعادة العائلة وتقوى روح الحرية بين أفرادها فتصبح العائلة كأسرة كبرى بل ركنا كبيراً في الامة سعيداً .

وليس هناك شك بعد ذلك أن تصبح حرية البلاد أمراً مقضيا .

شكاية المرأة تنشد الارتقاء

إن المدنية الحاضرة قد أنمت مدارك المرأة ولكنها اكثرت من أوجاعها ، كانت المرأة بالامس عمياء تسير في نور النهار فأصبحت مبصرة تسير في لجج الحياة المظلمة والرجل قاس عليها وإن ادعى العطف أحياناً .

فمتى يجيء اليوم التي يجتمع فى المرأة والرجل الجمال النفسي بالمعرفة والتفنن بالفضيلة وضعف الجسد بقوة النفس حتى يكون فى الحياة متسع للامل. فالمرأة في حياتنا ذهبت ضحية الرجل الشرير وسارت قهراً في مواكب الشقاء ، وأرادت أن تحلق بجناحيها في جو الفضاء الوسيع لتبث وجيعتها وتنشد بغيتها ما دامت الأرض ضاقت بها

لكن خانها نسيم الفساد فأوقعها مكسورة الجناحين .

وما زالت الأغلبية الساحقة من الرجال تعتقد أن المرأة مهما ارتقت ما هي إلا عضو أشل — وكان لهم بعض الحق فى ظنهم الفاسد إذ تعود الرجل أن يرى المرأة عبدة ذليلة في عقر دارها ، فمن الصعب إذاً أن يرى الرجل حقيقة وجمالا ما كان يراه وهماً وخيالا .

وكانت المرأة ضعيفة المعارف لأن غذاء الروح كان مفقوداً ولما عثرت عليه وتقوت عزيمتها استطاعت أن تطير في سماء الرقي يمدها الأمل بقوته ويقودها الرجاء إلى الحياة بخطى وسيعة . وإن كان سيرها ما زال ضعيفاً إلا أنه كاد يرتقي ويبشر بحسن المستقبل ولكن يعذب النفوس ظهور المرأة على مسرح الحياة باكية نائحة تشكو الحياة وتتبرم منها لأن الرجل ما زال يقسو عليها .

إن المرأة الضعيفة هي رمز الأمة المظلومة — أو ليست المرأة المتوجعة بين أميال نفسها وقيود جسدها هي كالامة المتعذبة.

أو ليست الأنات الخفية التي تذهب بالفتاة إلى ظلمة القبر هي كالعواصف الشديدة التي تغمرها حياة الشعوب بالغبار ، إن

المرأة من الامة بمنزلة الشمس من الحياة وهل تطيب الحياة بدون نور

يعلم ربى أنني مللت التفكير والتعليل ، لذا سرت على شاطئ النهر لاستنشاق الهواء العليل ، ومشيت ما بين الرياض كعادتى صامتة ساكنة مسترسلة في الخيال ، وإذ بفتاة جالسة على شاطئ النهر حزينة كئيبة عليها نقاب اليأس والقنوط .

اجتزت العقبات ميممة وجهي نحوها ووقفت بجانبها أنظر إلى حقيقة وجهها ولما دنوت منها متسائلة عن حالها حولت وجهها نحوي وظهر على شفتيها خيال ابتسامة محزنة وبصوت ضعيف خلته آتيا من بعيد — قالت — إذهبي عني — اتركيني وحيدة في كآبتي حتى يطلبني الله فانى أنشد لقاءه وأجهشت في البكاء فمسكت يدها الضعيفة بين يدي وسألتها عما يبكيها فمسحت دموعها بأطراف بنانها وقالت متحسرة أنظري إلى هذه الاسماك تجئ بها الامواج إلى الشاطئ ولا تلبث حتى تغمسها في قاع النهر ، ولا حيلة للسمك لأنه ضعيف ، وأما إذا كان كبيراً قاوم شدة الامواج وتغلب على السمك الضعيف وأكله مع أنه شريك له في الحياة وأخاً له ، ولكنه تقاتل في سبيل معيشته .

فاستضحكت منها وقلت عجباً ، وهل هذا يبكيك ، فرادفت حديثها قائلة : يبكيني ولا يميتني وأتعزى لأن عذاب النفس بسباتها امام المصاعب والمتاعب هو أشرف من تقهقرها إلى حيث الأمن والطمأنية — فاقتربت منها قائلة : خففي عنك يا سيدتي وجفف دموعك واصبري على آلام الحياة فأوجاعها أكثر من أفراحها من بداية خلقها ألا تعلمين أن الله يوم خلق آدم عليه السلام أنزل عليه امطار السرور عاماً واحداً وأمطار الحزن والألم أربعون عاماً فأين قلب المرأة في جسدك يا سيدتي مع أني أراه يتجلى في عينيك فقاطعتني قائلة : أتطلبين مني الصبر والتجلد وفي عينيك معنى اليأس والقنوط أيعطى المسكين الجائع غذاءه إلى مسكين آخر وهو في حاجة إلى الغذاء أو يصف المريض دواءه العليل وهو لم ينل شفاءه من تعاطيه — قلت دعينا من ذلك واخبريني ؟

لم أتيت إلى هذا المكان الموحش وحيدة . فأجابتني اجتزت اول طريق من طرق الحياة ولولا الامل لقطعت الرجاء ، ولكنني سرت في الطريق لأن شعاع الامل يثير لي ولكن ما وصلت إلى وسطه ، حتى اشتد الظلام ولم أستطع اقتحامه .

كنت في البداية قوية أستطيع أن أقتحم كل هذه العقبات بسهولة ، اما الآن فقوتى تركتني وأعرضت عني ولا أدري لماذا ؟ خلقني الله قوية وأضعفني الانسان ، بعثني الله إلى الحياة حرة طليقة فوضعني الرجل في سلاسل مقيدة من حديد ، كون الله قلبي نقيا طاهراً فرماه البشر بالغدر والخيانة ، يقولون حرية المرأة جريمة ومن جعل عسلها فضيلة ؟ . . أنقابل الحرية بالاستعباد ونقول هذه هي الشريعة — من هم الذين وضعوا شريعة المرأة — أملائكة أنزلهم الله أم ظلم الرجل وجهله — وفي أي جيل من الاجيال أنزل الله كتاباً من عنده يقول احرموا المرأة نور الحياة وامنعوها من تعاطي مائها السلسبيل ، يعذبون المرأة ظناً منهم أنها أصل الشقاء ، ولعمري ما خلقت المرأة إلا لتكون بلسما لجراح الحياة ، فكيف تكون سماً زعافاً كما يقولون .

المرأة هذا الملاك ذات القلب الطاهر الذي لا يتغير مع الزمن ولا يتحول مع الفصول ، قلب المرأة ينازع طويلا ولكنه لا يموت قلب المرأة يشابه الخلاء الواسع الذي يتخذه الانسان ساحة لحروبه قلب المرأة يغير كل شيء ويبقى هادئاً ساكناً مطمئناً .

وهنا ظهر على وجهها الشاحب كل ما فى نفس المرأة المظلومة من الشكوى والقنوط — ثم صرخت قائلة : اي رب ماذا فعلت المرأة فاستحقت غضب الرجل وبطشه، ثم يزعم أنه قوي وهي ضعيفة فلماذا يبيدها بالاوجاع — في فمها نفخ الله نسمة الحياة ، وفي قلبها يزرع الانسان بذور العناء على طريق السعادة علمها الله المسير وعلى طريق الشقاء يوجهها الانسان في حنجرتها أوتار نغمات السرور وبالاحزان يفتح فاها الانسان .

وهنا سكنت ثم أرخت ذراعيها وأحنت رأسها وكأن القوي الحيوية تركتها ، فبانت لناظري كغصن قصفته العاصفة ، فأخذت يدها بين يدى الملتهبة ، ولما حاولت تعزيتها بالكلام تلعثم لسانى ولم أستطع لأن اللوعة إذا عظمت تصير خرساء ، فقالت قد انتهت أيامى المظامة .

وهأنذا أرى من بعيد نور الحياة الحقة ولم يبق لي من بعد تلك الايام المظلمة سوى تذكارات موجعة ترفرف كأجنحة غير منظورة حول رأسي مشيدة تنهدات الأسى في أعماق صدري مستقطرة دموع اليأس والاسف من أجفانى ، والآن دعيني أذهب بسلام .

دعيني أطير في جو الحرية والعدل المملوء بالسعادة والغبطة ، دعيني أذهب لأنصار المرأة الذين ذهبوا ضحية الصراحة الحقة ، ثم نهضت من مكانها ورفعت صوتها قائلة : حرام على أن أعيش في حياة يظللها الظلم ويخيم على ربوعها الاستعباد — حرام على أن أعيش مقيدة بتلك القيود الحديدية ما دام الله خلقني حرة طليقة ، أريد أن أعلن رأيي بصراحة ، ولا أسمع مانعاً غير الحق اريد العدل وانشد الحرية — وسكتت دقيقة وظلت اشباح الفاظها منتصبة أمام عيني

وهنا التفتت ونظرت إلي نظرة عميقة ساكنة وتنهدت قائلة: دعيني استريح فقد مللت متاعب البشر . فتركتها مستأذنة بعد ان توارت الشمس إذ ذاك وراء الشفق وابتدأ المساء يحيك من خيوط الظل والسكون نقاباً رقيقاً ليلقي على جسم الطبيعة رداءه : فودعتها وحدثتها حديثاً طيباً ساكناً هادئاً استطعت ان اخرجه من بين شفتي المتألمة لآلامها وتركتها وفي فؤادي حسرة وفي قلبي لوعة . تركتها وانا افكر اي صدمة قوية جرحت فؤادها ، واي رجل قاس جرحها في روحها — ها هي جالسة جثة هامده لاحس فيها ولا روح عندها ولا ادري والله لم قتلها الرجل قتلا لا تنشد بعده حياة .

وفي اليوم الثانى ذهبت إليها مسرعة لأطمئن على حالها. وهناك فتشت عنها فلم اجدها فظننت انها رأت من بعيد شعاعا من الامل فسارت نحوه واطمأننت ورجعت ادراجي ولكن استوقفنى الشك فسألت امرأة عجوز جالسة بالقرب منها منذ امس ولم تغير مكانها .

ماذا حل بالسيدة التي كانت جالسة هنا بالأمس يا سيدتى ، هل سارت وحيدة ام حضر إليها احد ؟

فتأوهت المرأة وقالت ولم تسألين عنها ، هل بينك وبينها صلة قرابة ؟ قلت لا ولكن اعرفها حق المعرفة ، قالت إذن اخبريني من هي ولم حضرت هنا وحيدة حزينة — قلت اخبريني انت اولا عما حدث لها اخيراً إن كنت رأيتها — قالت وارحمتاه قد قذفت بنفسها في النهر وانقذوها ، ولكن بعد ان فقدت الروح قلت لا اعلم من امرها شيئاً يا سيدتى غير ان رجلا في الحياة فجعها حتى سئمت حياتها فبرمتها — وها هي طارت بجناحيها إلى عالم السماء ، فالله يلهم ذويها الصبر ، ويسبل على روحها مغفرته ورحمته.

فيا للتعاسة يقتل الرجل المرأة وهو لا يدرى ويظلمها وهي بالعدل اولى .

المرأة والجمال

إذا عرف الرجل سر جمال المرأة الطبيعي ، وقدر هذا الجمال الحقيقي ادركت المرأة مقدار ما في نفسها من حلاوة وتركت وجهها للطبيعة تجمله كيف تشاء بغير المساحيق التي تعلوه فتذهب بنضارته ورونقه — ولكن انى للمرأة ان تترك هذا التجمل المصطنع ، وهي ترى من الرجال استحساناً ، ولا وزر عليها إذ تسير يتبعها حارس يهمس في اذن جاره « ما اجملها — ما ألطفها » ما اضعف نفسه واخسها إذ يقول « كدت اجن » حتى يخيل إلى ان من باب الرفق بالحيوان يجب ان اسير خلفه حتى إذا فقد عقله بعثت به إلى المارستان آسفة عليه حزينة لأنه ذهب ضحية جمال المرأة المزيف — وطار عقل الرجل بعيداً عنه فوا رحمتاه له — ها هو يدعى الجنون ، فهل هو محق في ادعائه ان المرأة سبب الفساد ام هو مخطئ ؟ لا ادري والله . . .

ولكن العدل يقضى ان أوجه اللوم للمرأة ، ولو انى اشعر بقسوتى عليها وحدها فالرجل ملوم لأنه مشترك معها فى الجريمة

لأنه يعمل على بث روح الفساد فيها من وراء ستار ، لذا أناشدك المروءة أيها الشريك في معترك الحياة أن تستمع لشكايتي .. تصرخ من تبرج المرأة مستغيثاً وتدعى أنها سبب شقائك وبلائك فكيف تخدع نفسك وتكابر ، إذا ما خلوت إليها كيف ترغب في الفجور منك وترغب عنه منها ؟

لم تشجع ذات الجمال الصناعي وتتودد إليها وتغازلها ، حتى إذا قالت لك عن طيش (لبيك) ناديت بأعلى صوتك (المرأة أصل التعاسة) متناسياً تلك الساعات التي أمضيتها في السير خلفها لتنال منها (نظرة) كما تعير — هب نفسك زوجاً أو أخا أو والداً ، هل تسمح لرجل ان يسير وراء زوجك او أختك او ابنتك ؟ وماذا يكون نصيبه وماذا يكون نصيبها ايضاً — فاذا كنت تستحل ماتحرمه على غيرك فسامح تطفلي إن قلت ما اضعف قلبك .

لم تخدع نفسك يا سيدي متحدثاً إليها عن جمال المرأة الذي ملك عليك أمرك وملأ فراغ قلبك حتى إذا دنت منك واجابت ندائك لاقت منك من العذاب اشده ، أليس في هذا شيء من الغدر والضعة ، فعليك يا سيدي العتب المر ، وعلى المرأة شيء من

اللوم لأنها تجهل نفسيتك وتصور لنفسها خطأ انها درستك .

نعم إن المرأة التي تمنحها الطبيعة جمال النفس وجمال التكوين هي حقيقة ظاهرة غامضة لا تستطيع إدراكها إلا بالمحبة ، ولا يمكن لمسها إلا بالطهر ، ولم يكن جمال المرأة يوماً خاضعاً للمقاييس التي وضعها بعض البشر للجمال .

جمال المرأة الحقيقي كالحلم او الرؤيا او كفكر علوي لا يقاس ولا يحد ولا ينسخ بريشة المصور ولا يتجسم فوق رخام الحفار .

جمال المرأة لم يكن في شعرها الذهبي بل في هالة الطهر المحيطة به ولم يكن في عينيها الكبيرتين بل في النور المنبعث منهما ولا في شفتيها الورديتين بل في النغمات العذبة الخارجة منهما .

جمال المرأة لم يكن في كمال جسدها بل في نبالة روحها الشبيهة بشعلة بيضاء منقدة نبلا وذكاء .

جمال المرأة هو ذلك النبوغ الشعري الذي نشاهد له (كاريكاتورة) في بعض القصائد والرسوم والأنغام الخالدة ، فما اجهل الرجال الذين يتوهمون ان الحب وليد الجمال الصناعي ، إن المحبة الحقيقية هي ابنة التفاهم الروحي .

فيا شقيقتي المصرية اتركي ظهرياً هذه المظاهر التي خلفت فيك الغرور وفكري إلى أين نحن مسوقات .

حان وقت اقتباسنا النافع من الغرب .

حان ان تعرف السيدة منا كيف تكون أنيقة دمثة لينة مثقفة قوية الجسم والنفس محافظة على ذاتيتها — بذلك نستطيع ان نضع الحجر الأساسي في رقي البلاد وحضارتها ورفع مستواها الأدبي بين البلاد الاخرى .

لتكن المرأة المصرية أما مربية ، وزوجة طاهرة ، وعليها ان تفكر في الخطر الذي يتهددنا من وراء التقليد الأعمى الراهن :

إن الاكثرية منا مصابة بشلل معنوي مبهمات المطالب مما جعلهن يجرين وراء ما يسمونه مودة ، ووراء كل ما هو كفيل لقتل السآمة التي استولت عليهن .

عليك إذن واجب التفكير في الاهتداء إلى طريق السعادة ، ولو تأملت لوجدتها قاب قوسين أوأدنى ، فامددي يديك على ضوء العقل ، وأنا الكفيلة بالفوز والنور .

تجولات في عالم الخيال

وقفت في ليلة ما أمتع ناظري بمرأى الطبيعة وقد مال ميزان النهار، فريت أسلاك الذهب تترقرق في الفضاء وتتماوج في البطحاء وأزعجتني الاشجار بصوت حفيفها المخيف ، فأخذتني تلك المناظر على امتطاء جواد التصور حتى وصلت مدينة التخيل ، وهنالك تغيرت إلى حمامة بيضاء صغيرة وما هي إلا لحظة حتى غابت الشمس بأشعتها الذهبية وأصبح الجو رائقاً والسماء مظلمة لا يترقرق فيها غير ضوء ضعيف استشفه من وراء الاشجار ، سرت في ذلك الليل البهيم ، وفي فؤادي جيشان كأنهما أمواج ثائرة ، لو خرجت من مكمنها يتعكر سكون الليل ولو هبت من محلها تضيء ذلك السواد الحالك ، بل لو اندفعت تلك النيارات المنيرة لحرقت قلبي الصغير

وما زلت كذلك حائرة في طريق أسير الهوينا حتى وصلت إلى حدقة غناء كان بساطها السندسي في غاية الجمال فأخذتني هيبته على تقديسه ، وكأن أقدامي عليه كلمات الشفاه على هيكل مجيد . علوت غصن شجرة فأفاقني صوت تنهدات عميقة وزفرات صاعدة

كأنها دخان متطاير إلى السماء فتحيرت ودفعني حب الاستطلاع إلى الطير على شجرة أخرى عالية باسقة لكي أشاهد حيث لا أشاهد فماذا نظرت ؟ وماذا سمعت ؟.

حملقت حولي في الاشجار خارجا فرأيت على أغصانها قطرات من الندى هي بلا شك دموع الطبيعة التي بكت عند ما بكى ابنها الانسان وكان حفيف الاشجار ينشد نشيداً محزناً ويردد على مسامعي الحياة أنشودة طويلة أولها الامل وآخرها القنوط.

سبحت روحي في هذه الهواجس ، وإذا بصوت حنون يناديني ألا شقيقتي فالتفت إلى صدى الصوت وإذ بحمامة اكبرمني واقفة على غصن شجرة بعيد عني. رفرفت بجناحي وطرت نحوها فوجدتها واقفة صامتة لا تبدى حراكاً. فاقتربت منها وقلت لها أراك واقفة كالتمثال المفكر فعلام تفكرين.

أأنت مسجونة فتفكرين في أمر سراحك أم هناك على البعد منك خيال بشري يريد اقتناصك فتفكرين في حيلة تحافظين بها على نفسك من الوقوع في شركه — أم هناك حزن في أعماق قلبك أثر عليك فأوقفك عن الطيران — جميع الناس نيام في مضاجعهم ولماذا أنت

هنا وحيدة كئيبة — هل بعثك الخيال كما بعثني ؟ أم هل أعجبك حفيف الأشجار فوقفت لتخرجي منه سر الأرواح البشرية : ام سرك سكون الليل فاسترسلت في حلم جميل — هيا اتركي هذا المكان الموحش وتعالي بنا إلى مكان ينسينا وحشة هذا المكان رفرفرنا بجناحينا وطرنا إلى حيث لا نعلم لنا غاية ، وهنا وقفت الحمامة صامتة كأنها تفتش عن شيء تود أن تراه ، ثم تابعت المسير وأنا أتبعها حتى وصلنا إلى مكان فسيح خرب ، وهناك على القرب منه مكان يوحي الخشوع والهيبة ، فتقدمتني الحمامة إليه ، ووقفت حول مقبرة بعد أن طافتها ولكم كانت دهشتي عند ما تحققت من هذا المنظر المهيب وشممت عطر الرياحين والورود وكأن الله أودع بها رائحة ضن بها على سواها ، أو كأن تلك الورود اقتطفت من روح سامية وأخذت من تلك الروح رائحة الذكرى الطيبة وذهلت لهذا المنظر، فاستعطفت الحمامة أن تنبئني عن هذا السر المكنون ، فابتسمت ورفرفت بجناحيها وطارت على عمود مرتفع بالقرب منه وأبت أن تطأ قدماها هذا القبر فتعلو طنافسه الخضراء الطاهرة وخافت أن تعكر جناحيها صفو هناء الرياحين ،

وهي منسقة حوله وعليه ، وهنا قالت الشقيقة لا شك أنك تعلمين من هذا ثم اجهشت فى البكاء وبصوت حزين تتخلله آهات الاسف والقنوط قالت هذا هو الزعيم الراحل والملك الكريم الذي ذهب عنا بعيداً وأعرض ونأى عن أمة وضعت بين يديه آمالها وأمانيها :

هذا الزعيم سيد عصره ونموذج الاقدام ، وها هو اليوم وقد ضمه الثرى طي جوانحه فما هو إلا حسنة البارحة وذكرى اليوم.

هذا القبر يحمل بين جوانحه أنشودة الأمة ، وفي هذا القبر وضعت مصر فلذة كبدها . . .

لعمري أرى ملائكة السلام تحوطه وتحرسه كأنها تخاف أن تقترب منه النفوس البشرية الفاسدة — فهنيئاً له ذهب إلى حياة الامن والطمأنية بعد أن قضى حياته بين عذاب الامل ويأس الرجاء — لقد ذهب سعد البلاد بذهاب شبحة ، فسلام على حياة ملؤها الغدر والخيانة .

هنا اعثرتني هزة عنيفة أيقظتني الشقيقة من سكونها بقولها ما بالك غائصة في بحار الحزن ، وقد عات الكآبة وجهك في هذا الظلام الحالك وأنت وسط هذا المقام الجليل الذي يدلك على ما كان

لزعيمك ورسول أمتك الامين الراحل من السؤدد .

فأجبتها بعد المجاهدة وتهدئة روعى .. إنى أشعر بحزن يمازج سروري وهم ينغص على فرحى وحبوري وكيف يتسرب الفرح إلى صدري ولقد ذهبت غايتنا في الحياة وليس لنا هناك أمل ينشد من بعد سعد .

لقد زادت النار اشتعالا بعد رحيله واستيقظت النفوس المختبئة وراء ستر المفاسد والشرور من مضاجعها ، وصاحت الضمائر من سكونها بالظلم والعداء ، فكيف نرجو بعد ذلك سعادة وهناءه والنفوس البشرية تتغير طبيعتها الوطنية إلى طبيعة فاسدة تؤثر حب النفس على حب المجتمع والوطن .

ولولا بقية باقية تنير لنا ظلمات الحياة لذهبت أرواحنا ضحية الظلم والاستبداد .

ولولا شعاع من الامل يقدمه لنا جماعة تركهم سعد خلفه ليسيروا على منهجه لذاقت نفوسنا عذاب القنوط عاجلا حتى يقتلها .

فقاطعتني قائلة لا تيأسى ولا تحزنى فالله كفيل أن يهب هؤلاء الجماعة قوة من عنده ويمدهم بروح من وحيه، ولقد غرس لكم الزعيم

الراحل بذوراً طيبة فتعهدوها بعنايتكم ، وها هي روحه ترفرف حولكم لتمدكم بقوة الايمان ، فناضلوا في سبيل أعلاء شأنكم ، وجاهدوا بكل ما وهبكم الله به ، من عقل راجح وقوة إيمان ، حتى ينصركم الله نصراً قريباً. وقبلت كل منا القبر قبلة الاعزاز والاجلال

وطارت بى إلى خارج المكان فرأينا الطيور فى أوكارها تغني أناشيد الليل البهيم ، فقلت هناء لما أنتن فيه من السرور يا رسل الصباح وبريد السعادة ولسان الحرية التي لم تمنح الانسان منها إلا ذكراها .

وقادتنى إلى بحيرة لكي أشاهد حيث لا أشاهد ، فشاهدت الاطلال الشامخة منعكسه على مرآتها المائية ، فصحت أن ليت الزمان يعكس صورة الماضي على مرآة الحاضر ، ثم نظرت إليها بانعطاف وقلت إن ماء هذه البحيرة يرمز إلى شقاء البشر والاوساخ التي به تمثل تلك الاعوام المنحوسة والوطنيين يشبهوا تلك الاسماك التي تقاوم تموجات المياة ، فلا تستطيع ، ولاحيلة بأيديهم فقد نزع منها السلاح : فرحماك ربى رحماك .

هنا انتصبت الحمامة واقفة وقالت إن الحياة ما هي إلا رواية

ضخمة في كل يوم منها صحيفة حوادث مختلفة تمثل على مسرح جمالها وكله باطل .

هيا أنظري إلى الفتى المصري قديماً ، كان صاحب شجاعة وهمة ، والفتاة تشاركه في عمله ، وهما يبثان نور المعارف في الوجود فلما هضمت حقوق المرأة خبا الحسن وذهب الضياء .

كان القوم يتهافتون تحت أقدام السيدات الفاضلات الكاملات لاعتقادهم أن المرأة ضوء الحياة لذا كانت الحياة دائماً منيرة . . .

هنا تسرب الليل والقمر بأشعته الفضية فأعترتني هزة أيقظت مني شعور متدفق حار ، فقلت على رسلك أيها الوقت الطائر بأجنحة البرق .

مهلا ريثما ينفض المصري غبار النوم وقشور التراخي عن عينيه قف مكانك حتى يعلم أعداء الوطن أن أمانيهم هباء في فضاء الحرية ، وأنها سحابة صيف تظهر ثم تزول ، بل هي كالدخان يرفع نفسه ، وما هو إلا وضيع .

أصبر إلى أن يعلم الجميع أن الوطن يئن ويتوجع وينشد الشفاء

قف أيها الوقت قبل أن يأتى الزمان الذي منه يتدفق الذل والهوان على هذا المجتمع الانسانى تريث حتى ترانا ننعم في جو الحريه تمهل حتى ترانا متمتعين بمبادئ الاستقلال التام والحضارة والتقدم فيرجع البشر ماقد فاتهم ويتركوا وراء ظهورهم الذل والهوان

بعد ذلك مضى الليل وتبعه الشفق الاحمر البديع تأييداً لعظمته وغاب معه شبح الحمامة وأيقظني من غفلتي حفيف الاشجار ، وهي تردد وتقول الانسان كالليل وأعماله كالشفق ، فهنيئاً لمن يجعل ذكراه تنير له ظلمات الحياه بعد مماته .

المرأة والحياة

كثرت أحاديث الرجال عن المرأة وفكر كل رجل في حالتها ومتى تهيأ للحياة ، ونظر إليها كل رجل نظرة مختلفة ناشداً سعادته في تلك المخلوقة فمن الرجال من ظن أن السعادة لا تتوفر في المرأة لتجعله سعيداً إلا من وهبها الله جمالا ومالا ، ومنهم من رأى السعادة في الخلق والكمال والتعليم ، على أننا لو عددنا كل فريق لوجدنا الاغلبية للجمال ، ووفرة المال ، ولعمري أنها لحقيقة مرة .

وأنا أومن برأي الأقلية وأعتبر المرأة لا تسعد الرجل وتريه معنى الحياة الحقة إلا إذا كانت قوية تصلح لقيادة سفينة الحياة وليست قوتها في متانة بنائها وصلابة عودها أو ما تحلى به نفسها من جواهر أو باظهار ما زينتها به الطبيعة من جمال ودلال ، وإن كانت كل حالة من هذه الأحوال قوة لا تنكر ، وإنما ليست هذه الحالات هي البواعث لقوة المرأة ، بل المرأة القوية هي التي تعرف كيف تسير بسفينتها العائلية بسلام ، وتقتحم بها لجج الحياة متباعدة عن الاخطار والعواصف ، فلا تتركها تصطدم بصخر من صخورها فتتحطم وتغرق بمن فيها من الركاب .

فالمرأة القوية هي التي تعرف اتجاه الرياح ، فتقاوم شدتها بمقتضى الطبيعة حتى تصل إلى البر آمنة مطمئنة سليمة سعيدة .

فالأمم أجمع هي ثمرة من ثمرات المرأة الصالحة ، فمنها ما طاب منبتة فخلاجناه ، ومنها مافسد أصله فلم ينبت إلا مراً ولم ينتج إلا شراً ، فكل أمة تدير بيوتها نساء قويات راقيات قادرات على حفظ السلام . لا شك أنها تذوق طعم الحياة الحرة وتذوق شراب السعادة والهناءه . أما إذا خلت تلك الدور من نساء الروية والقوة

فلا مراء من ان تذوق علقم الحياة وسمها الزعاف .

تعتقد الاغلبية من سادتنا الرجال أن الباعث في رقى المرأة تلقينها المعلومات ونوالها الشهادات .

وحيث أنى مارست التعليم طالبه ومعلمة فيمكنني أن أصارح بحق أن التعليم في مدارسنا من أدناها إلى أعلاها لا يجد نفعاً . إذ التعليم في المدرسة مجرد تلقين المعلومات واجبار الفتيات على حفظها لا يجد نفعا ويعلم ربى أن عقل الفتاة كان فى حاجة إلى خزن المعلومات المفيدة التي تهيئ لها الحياة المعيشية بدل من تلك المعلومات التي لا تثمر ولا تغني من جوع في حياتها المعيشية ، فالتعليم فى مدارسنا الآن خلو من تجارب الحياة العملية المعيشية التي تؤهل الفتاة لتصير أماً في المستقبل :—

تعليم ينقصه التهذيب الروحي ، ولو فرضنا ونالت الفتاة قسطاً من التهذيب في المدرسة تذهب به القدوة العملية التي تراها ماثلة في البيت في مهب الرياح إذا ساءت إدارته ، ولا تستفيد الفتاة من حياتها إلا إذا اقترنت التعاليم المدرسية بالتعليم المنزلي ، فهناك يكون وسط الفتاة في الحالين كامل ، فتنشأ الفتاة كاملة بلا شك .

ولا تستطيع الفتاة أن تعيش راضية عن حياتها إلا إذا كانت متمسكة باللين والحيلة ، في سياسة أمور حياتها مع حذرها الشديد مما يصادمها من العاصفة القوية التي تحطم سفينتها إن لم تناضل وتجاهد فتقاومها بلطفها ودعتها المشفوعة بقوتها ، ولا تسمح لأحد من الركاب يؤدي إلى هلاك الجماعة ، فاللين والحذر لا زمان لسياسة سفينة الحياة .

وكم من أمهات أثمرت ثمراً فاسداً ذهب ضحية الجماعة على مذبح شهواتهم ، وكم من ثمر جلب لأمته التعاسة والشقاء ولولا أنصار لهوت الامة في حضيض الذل والهوان .

فالمرأة أصل البلاء وإن تكن مهد السعادة إن هذبت كانت ملكا كريما وإن تركت وشأنها كانت شيطاناً رجيما .

ولقد صدق الفيلسوف « فكتور هيجو » حيث قال :

(لو رفعت المرأة عن الارض لكانت دنيانا هي الجحيم)

من هنا يجب أن تتدرب الفتيات على الفضيلة من الصغر بأن يرين منها نموذجاً حياً في المنزل غير ما يلقى عليهن درساً في المدرسة وأن تجعل ربة الدار الأخلاق القويمة رائدها ، والحكمة هدايتها ،

حتى تكون خير قدوة لأبنائها ، فالأخلاق الطيبة تكون أدعى إلى السعادة وبقاء البيت سليما قوياً مشيداً على صروح المجد ، فينمو معه الاصلاح والرقي والكمال .

ولا يخفى على المرء أن الاخلاق الكريمة تربط الصلة الزوجية ربطاً متيناً وتحميها من الابتذال ، ولا شك أنها تكون حياة طيبة هادئة مطمئنة ما دام للأخلاق شأن في تكوينها .

أما إذا دب دبيب سوء الخلق بينهما ، فلا شك أن العاقبة تكون انقطاع حبل اتصالهما وتشتت شملهما .

هنا يشق كل منهما عصى الطاعة لأنه إذا دب دبيب الفساد لا يستطيع أن يعيش الانسان في ناره الحامية .

فالاخلاق الفاضلة هي سلم الرقي والباعث القوى للسعادة والهناءة . . .

فساد الاباء يجلب شقاء الابناء

بعد أيام مللت الوحدة وتعبت أجفاني من النظر إلى أوجه الكتب العابسة . . .

ذهبت إلى احدى صديقاتي ، وسرت كما شاء الله حتى ظهرت أمام باب دارها ، وإذ بها خارجة للقائي كأنها شعرت بقدومي فهشت مهللة وقادتني مرحبة إلى داخل الدار ، ثم أجلستني بقربها تحدثني مستفسرة عن ماضي مستطلعة مقاصدي في مستقبلي ، فكنت أجيبها بتلك اللهجة المفعمة بنغمة الأحلام والأماني التي تترنم بها الفتيات قبل أن تقذفهن أمواج الخيال إلى شاطئ العمل حيث الجهاد والنزاع . . .

سألتني عن حياتي المدرسية وسألتها عن حياتها المنزلية وكان تفضيل كل منا لمعيشتها رغم ما فيها من مرارة الحياة أحياناً .

وهنا ظهرت من ستائر الباب فتاة جميلة مشت نحونا ببطء فوقفنا معاً ، وقالت صديقتي مشيرة إلى القادمة هذه إبنة عمي ، ثم أشارت إلي وهذه صديقتي التي حدثتك عنها من قبل فتقدمت

الفتاة إلي وحدقت بعيني هنية كأنها تريد أن تستنطقها عن حقيقة أمري ثم أخذت يدي مصافحة .

جلسنا جميعاً ساكنات حتى خيل إلي ان هذه الفتاة قد أدخلت معها روحاً ساكنة توحي الصمت والتألم ، ولكنها نبهت نفسيتنا من خيالها إذ قالت : لم أشعر بدخولك لانني كنت أقرأ وقتئذ مقالا لأحد أدبائنا ، ولقد كان هذا المقال عذباً ، لكنها عذوبة الليمون الحلو الذي ينتهي بطعم مرير .

ومما أعجب له أني أرى الجميع يحاسبون المرأة على هفواتها تاركين وراء ظهورهم هفوات الرجل ، غير مفكرين في طرق اصلاحه ، ولقد سرى الفساد في نفسية الرجل إلى حد كبير ومع ذلك لا نسمع إلا قول الأغلبية الساحقة منهم — النساء أصل البلاء .

إن المرأة تعاني من الآلام أشدها وتذوق من الحياة طعامها المرير والرجل لاه عنها .

كانت تتحدث وتصمت بين كل كلمة وأخرى ، لكن سكونها كان موسيقياً ، ينتقل بي إلى مسارح الاحلام البعيدة وتحملني أن أصغي لنبضات قلبها ، وأرى خيالات أفكارها وعواطفها منتصبة أمام عيني

وللخيال أجنحة ذات ريش من الفكر وأعصاب من الأوهام ترفع الفتيات إلى ما وراء الغيوم فيرين الكيان مغموراً بأشعة متلونة بألوان قوس قزح ، ويسمعن أنشودة الحياة مرتلة نغمات المجد والعظمة ، ولكن تلك الأجنحة الشعرية لا تلبث أن تمزقها عواصف الاختبار فيهبطن إلى عالم الحقيقة ، وعالم الحقيقة مرآة غريبة يرى فيها المرء نفسه مصغرة مشوهة .

إن النفس الحزينة المتألمة تجد راحة بانضمامها إلى نفس أخرى تماثلها بالشعور وتشاركها بالاحساس مثلما يستأنس الغريب بالغريب في أرض بعيده عن وطنيهما ، فالقلوب التي تدنيها أوجاع الكآبة بعضها من بعض لا تفرقها بهجة الافراح وبهجتها ، فرابطة الحزن أقوى في النفوس من روابط الغبطة والسرور .

هنا حضرت الخادم لتنادي الصديقة لأمر هام ، فخرجت مسرعة ، واستمرت الفتاة فى حديثها قائلة : إن المرأة تتحمل من الآلام ما يعجز عن حمله رجل قوي عظيم وهي لا تشكو ولا تتألم وإن فعلت كان بينها وبين نفسها صامتة ساكنة ، كانت تتحدث وقطرات الدمع متساقطة كالندى على خدها الوردي الجميل .

قلت علام تبكين ؟

قالت إنني تعسة وحقك .

قلت مستضحكة فتاة في جمالك ودلالك وخفة روحك تكن تعسه لا شك أنه وهم باطل تطرق إلى قلبك فانزعيه برويتك وصبرك .

أجابتني إذا علمت حكايتي ترثين لمصابى فاسمعي قصتي واكتمي أمري في أعماق قلبك أو اذكريه درساً للخلق إن شئت .

نشأت بين أبوين كريمين ، وما طاف بى عالم الحقيقة حتى علمت ويا ليتنى لم أعلم ؟

علمت أن والدي ترك والدتى وعمري وقتئذ لا يتجاوز السنة لا لذنب جنته ولا لخطأ اقترفته — تركها لأنه ملّ رؤية وجه يراه صباح مساء وأراد أن يغير تلك الحياة فسار تبع طيشه ومجونه .

وتزوجت والدتى برجل مازال معها شاركها فى تربيتي كما شاءت وشاء عطفه وحنانه ، فقدم إلي من الاحسان والعطف والحب ما أنسانى العطف الأبوي الذي يوجع نفسى المستحدثة في وكر المعرفة وقد حرمته صغيرة وكبيرة .

ولكن مع ذلك بى من الهم ما لا أعرف سبيله ولا مأتاه .

ما الحكم على فتاة لم تذق طعم العطف الأبوي الحقيقي ؟

أقسم لك لو كان ميتاً لما تألمت عليه كألمي الآن ، ولما شعرت بتعاسة نفسي ، لأني أعرف له مقراً لا مخرج منه ، فاذا مرضت لا أنتظر سؤاله ، وإذا حزنت لا ألتجئ إليه لمواساتي ، وإذا ذهبت بعيداً لا أشعر بوحشته ، وإذا سئلت عنه أجبت بأني فقدته ميتاً لا حياً . . .

فأنا إن بكيته فانما أبكي نفسي اليائسه ، وإن ندبته فانما أندب سوء حظي لأني بائسة .

ثم أجهشت في البكاء وقالت إن الذين يعلمون مقر آبائهم غير أشقياء لأنهم يعيشون بالأمل ويحيون بالرجاء ، أما أنا فشقية لأني لا أعلم لي والداً رحيما فأرجوه ، ولا ميتاً فأندبه

لقد أخذ مني الحزن كل مأخذ ، ولولا الصبر والرجاء لقتلت نفسي هماً وكمداً .

ينشدون الحرية ودعائم بنيانها العدل والرحمة والانصاف لا تعرف لها في نفوسهم وقلوبهم مقراً .

لقد سار الرجال في تيار شهواتهم ولا رادع لهم .

لقد ظلموا المرأة بجانبهم وهم غافلون ، وجعلوها هدفاً لسهام المصائب وهم لا يشعرون ، وجلبوا إليها التعاسة والشقاء وهم نائمون ، كيف بربك نطلب الرقي ونحن جهلاء اغبياء ، كيف نرجو اصلاح أبنائنا والشقاء مخيم على ربوع ديارنا — نطلب الحرية العامة ونحن ما زلنا نجهل كيف نتصرف بحريتنا الشخصية .

ثم صمتت وكأن الصمت اوحى إليها بدفائن قلبها ، فقالت بهدوء : إن اللسان الذي أخرسته الاوجاع لا يتكلم ، والشفاه التي ختم عليها اليأس لا تحترك .

ودخلت الصديقة فنظرت إلى الفتاة نظرة المستعطف المسترحم كأنها ترجو مني أن أصمت .

وحان وقت انصرافي . فخرجت بعد توديعها ، وأنا أحمل بين جنبي نفساً لا يعلم بأسها إلا الله .

فللوالدين أبعث إليهم شكاية زواجهم القهري وعدم ائتلافهم الروحي راجية منهم أن يتفقوا بعد ائتلاف أرواحهم حتى يعمل كل فرد على سعادة شريكه حتى تهنأ الأمة بسعادتهم ولتكن الحياة العائلية مشيدة على الحب والوفاء بدلا من الثروة والجمال الزائل

اجعلوا نفوسكم خير قدوة لأبنائكم وشيدوا صرح النهضة في بلادكم حتى تنالوا ماتنشدونه من حرية وارتقاء .

تأثير البيئة في الأخلاق

إن أول شيء يميل إليه الطفل من الأعمال تقليد ما يحيط به من المرئيات العملية أو نطق الكلمات التي يسمعها فنجده إذا مارأى والده وهو يكتب أو يقرأ يلجأ إلى تقليده فيمسك القلم والقرطاس ويخط ماشاءت يده تسير مع القلم ثم يترك هذا إلى الكتاب فيفتحه ويأخذ في تقليد هيئة القارئ على وفق الحال التي اعتاد رؤيتها من أبيه — فالطفل مجبول بطبيعته على تقليد كل ما يراه سواء أكان صالحاً أم طالحاً وتكون النتيجة إذ ذاك أن يتعود ما تعوده في بيئته إن خيراً وإن شراً .

ومن هنا يظهر الفرق جلياً بين طفل نشأ في بيئة صالحة وآخر في بيئة سيئة الاخلاق على أننا لا نعني بذلك الناحية الطائفية فلا نستطيع أن نجعل ذلك قياساً مضبوطاً لطائفة الفقراء أو الأغنياء ، فهناك أطفال نشأوا في بيئة غنية ميلهم للشر شديد ، وذلك يرجع إلى

الذين يعهد إليهم في تربيتهم من الخدم ، فهم لا يحتفظون بالآداب في محادثة بعضهم البعض ، ولا يعرفون أصول التربية والتهذيب ، فتنشأ الاطفال ، وقد التقطوا منهم بذئ الألفاظ ، وتخلقوا عنهم بقبيح الاخلاق ودنئ الصفات وبذلك كان الوسط إن خيراً وإن شراً هو القوة الفعالة في تكوين الأخلاق .

لذلك كان الوسط الاول هو الاعظم تأثيراً في ميول الاحداث والأكثر بقاء في نفوسهم ، وليست البيئة قاصرة على المنزل فقط ، بل من أهم المؤثرات في أخلاقه .

رفقاؤه وزملاؤه الذين يلقاهم في الدروس أو يختلف إليهم في الاستراحة واللهو ، فنرى الاخوين يذهبان معاً إلى معهد واحد فيتهذب أحدهما ويفسد الثانى . ولا يكون للتربية والتهذيب أثر في نفسه ذلك لانهما افترقا إلى الاستراحة أو اللعب أو إلى دار التعليم نفسها ، فاجتمع كل منهما بزميل يختلف في المشرب عن زميل أخيه وكان نصيب أحدهما صاحباً ، قد نفذت آثار التهذيب إلى نفسه فيقتبس منه أدباً وعلماً وخلقاً حسناً ، بينما الثانى يكون بين أصحاب سوء يصرفونه عن التربية ويبعدونه عن التهذيب بما يزينون له من

طرق الفساد حتى إذا خرج إلى معترك الحياة أخذ كل يبحث عن الوسط الذي ألفه من قبل وتأثر بتأثراته ، فيسير الصالح في طريق الخير ، ويصبح فرداً نافعاً للهيئة الاجتماعية بيناً يكون الثانى قد اندمج في وسط فاسد ينساب فى تيار أهوائه ، حتى يكون شراً على نفسه وعلى المجتمع ، والويل كل الويل لامة تشب أبناؤها فاسدي الاخلاق .

وقد دلت التجارب على أن تقارب الصفات والميول والمشاعر الناجم عن تأثير البيئة والرفقاء بعضهم في بعض ليس مقصوراً أمره على الاحداث والشبان بل يتعداهم إلى الشيوخ فان اختلاط الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة قد يؤدي إلى اقتباس بعضهم من خلق بعض تدريجياً ، فاذا ما استمروا في المعاملة والمعاشرة والاختلاط اتحدت أخلاقهم وتوافقت مشاربهم حتى تكاد لا تفترق عن بعضها .

على انه ليس من المستعصى او من المستحيل ان تقوم اخلاق من يشب في وسط شرير من الاطفال .

والمرأة كالطفل سريعة الانقياد والتقليد ، والرجل ذو تأثير قوى عليها كالبيئة ، فمن السهل أن يقومها حسب رغائبه وأمانيه

أما إذ استمرت في ذلك الوسط على مداركها الضعيفة وقواها الكليلة فلا يكون لها نصيب الخلاص من هوة الضعف والاستعباد الروحي . . .

على أننا لو لاحظنا تماماً نفسية الانسان على العموم لوجدنا أن تغيير خلقه ممكنة ، فاذا كان من الممكن تغيير خلق الحيوانات ، فالكلب ينقل من شره الأكل إلى التأدب والامساك ، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد ، فهلا يكون من السهل تغيير خلق الانسان وهو أقرب إلى التغيير لانه أدق حساً واكثر إدراكاً

لكننا لا ننتظر أن تنتقل المرأة على الفور من حالة الشر إلى حالة الخير إذ لابد وأن يحدث نوعا من التأثير بأشكال مختلفة في ضروب الناس لأن منهم من يقبل التأدب ويتحرك إلى الفضيلة بسرعة ، ومنهم من يتحرك إليها ببطء ، وذلك يرجع للغريزة نفسها وطبيعة ميل نفسه للخير أو الشر ، فمن كان ميله للخير أكثر من الشر أسرع التنفيذ .

وكذلك قد يغير المرأة وطباعها ما يلقى عليها من نموذج عمل نافع في الحياة ، او قول سديد ، ورأي صائب ، ونصيحة صادقة ،

فالمرأة اليوم غيرها بالأمس .

المرأة اليوم تنشد تحريرها من قيد العبودية ، وتسعى جهدها في أن تخرج من تلك القيود الحديدية بسلام . على شريطة أن تحسن السير في معترك الحياة حتى لا يعيبها الرجل .

كانت المرأة بالامس تسمع صوت الرجل ولكنها لاتدنو منه لانها تخشاه ، أما اليوم فقد قامت من غفلتها وتأهبت لتناقشه الحساب إلا أن نفسيتها ما زالت ضعيفة في حاجة إلى العزم والثبات .

وعن قريب سيرى الرجل امرأة اليوم بقوتها وكمالها ويشعر بوجودها ، ويعلم أنه في استطاعتها أن ترفع معه علم الجهاد .

فتومي شقيقتي المصرية من نومك وارفعي النقاب عن وجهك فانه يحجب عنك نور الحياة ، وارفعي رأسك عن الارض إلى السماء لتري فيها سر الرقى والعمران ، وكوني عند حسن ظن الرجل بك وخذي من تفاؤل الرجال نبراساً تستضئين به في حياتك ، وسيرى في طريق العفاف يحوطك سياج الكمال ودعي عنك مظاهر الحياة الكاذبة الذى يعرضها أمام ناظريك شيطان الغرور القاسي .

والله يوفقك لما فيه خير بلادك .

لنعمل متكاتفين على نشر الفضيلة

ما أجمل الفضيلة ، وما أقل من يتعرف لذة الحياة فيها ، وما أعذب الفضيلة إذا طرق بابها الانسان .

جمال الحياة الحقيقي معهده الفضيلة ، ولا توجد صورتها الحقيقية الجميلة إلا في صحو الحياة وبكورها وشروقها وغروبها ولكل جمال سر يبعث إلى روح الفضيلة ، وفي مظاهر الظلام الذي ترتعد منه فرائصنا قوة خفية من الفضيلة .

ففي هذا الظلام أسرار الحياة ومعانيها المنطوية بين ثناياها . الظلام يوحي إلى النفس العذاب والألم ، ولكن بجانب هذا العذاب رجاء يتأهل لاستقبال الصباح ، وما دام في الحياة أمل ينشد فلا شقاء فيها .

في ليل مسترخي السدول ، في ليلة غار نجمها وادلهم ديجورها ، في ليلة ظلامها قاتم ونجمها قافل ، أعياني الكد والنصب فلجأت إلى الكرى متوسلة إليه أن يطرق جفني ، استامت وسادتي أنشد فيها راحتي وقد اشتد اللجاج بين عقلي الباطن والواعي حتى تغلب

الاول على الثانى وابتدأ يعرض صور الحياة المؤلمة أمام ناظري .

وفي عالم الرؤيا وجدتني في مكان فسيح أسير الهوينا خائفة مذعورة وما أشد خوفي حينما رأيت رجلا أمامي يحدق النظر في وجهي .

وقد ظننته من أول وهلة خارجاً من باطن الارض شكله ذميم مخيف تتعذب النفس أمامه عذاباً لا تستطيع مقاومته .

تراجعت خطوة للوراء ووددت لو استطعت أن أفر من وجهه هاربة — ولكنني جمعت قواي ونظرت إليه نظرة الخائف المذعور نظرة الحائر الشريد ، فاقترب مني ونظر إلي نظرة لولا قبح شكله لخلتها نظرة عطف وحنان ، نظرة حب ووفاء ، نظرة لا يفهمها غير المتعمقون فى العيون وسر العيون .

أثر هول الموقف على روحى فذهلت فنى علي .

فقلت له وشفتاي ترتعشان ، ولسانى يتلعثم من أنت ؟

أجابني وفى صوته لهجة العطف ، وما ذا تظنين أن أكون ، صمت لحظة كنت في خلالها أنظر إلى شكله المخيف لاحكم على شخصيته ، ثم قلت كنت أسمع من والدتى وأنا صغيرة قصص الجان

والشياطين فلعلك واحد من هؤلاء ، وأعددت نفسى للمكافحة إن أراد بى سوءاً متباعدة عنه لكنه ابتسم وخلع جلبابه ، فذهلت مما رأيت ؟؟ . . .

رأيت صورة ملاك أودع الله في خلقته جمال قدرته واقترب منى قائلا :—

أنا قتيل الجامعة البشرية ، أنا المنتحر ظلماً وعدواناً لأنى ضقت ذرعا بالحياة .

أنا رسول الفضيلة ولكم ناديت بوجوبها ولم يسمع أحد ندائى ولا تعجبي يا فتاتى من هذا الرداء ، فهو ماحكته لنفسى بيدي متخذاً نسيجه من النفوس البشرية .

لقد أنكر على الجميع جمال فضيلتي فاختبأت وراء هذا الستار المخيف ، ولا يستطيع أحد أن يقترب مني ليروا حقيقة نفسي لأن نفوسهم ضعيفة ، إنني أتألم يا صغيرة ، ولكني مضطر إلى الاستتار قلت إنك واهم ياسيدى لذا قسوت على البشر من منهم يرى هيئتك الجميلة ويكتم أعزازك وتكريمك فاخلع عنك هذا الثوب ، وأظهر بحقيقة نفسك . .

قال ليس حقاً ما تقولين يا فتاتى إن البشر إذا رأوا صورتى كما تدعين تبرموا منها ومروا عليها دون كلمة تحية ناظرين مسرورين إلى متع الحياة مادام لهم فيها لذة غير مكترثين بآلامها، فهم ينظرون إلى الصباح بعيني الألم مفكرين فى عملهم الشاق الذي تؤديه اجسامهم لأمل خاص وإلى الظلام بعيني السرور والفرح مهللين بقدومه منبع الملذات واللهو والمفاسد ، فهم يجهلون سر الحياة إذ لو علموا سر الصباح لا نقلب حزنهم فرحاً وسر الظلام لانقلب فرحهم كمداً .

لقد طفت أرجاء المعمورة واتخذت من فضيلة كل امرئ يدعى الفضيلة خيطاً من نسيج روحه حتى جمعت عدد أخيطة نسيج جلبابى الذي رأيتنى به في أول وهلة ، فهل علمت حقيقة ارواح البشر المخيفة .

إن الفضيلة نزعت من القلوب البشرية يا فتاتى وكل الناس يدعى الفضيلة وينتحلها وكلهم يلبس لباسها ويرتدى رداءها ويعد لها عدتها ففضيلتهم يعلم خالقى أنها منبع الرذيلة .

فنشي في قلوب البشر ونقبي فضيلتهم تجدي أنه اسم نقش باليد ووراء كل حرف من تلك الحروف خفايا الذل والهوان ،

ثم حلق بجناحيه فقلت انتظر واسمعني قولك الصادق يا ملاك الفضيله فابتسم وقال دعيني أخرج من هذا القصر الذي شيدته لي الأيادى الفاسده ، ولا تلزميني بالحديث ، فانني أخاف النميمة والاغتياب والوقاحة والشراسة .

أخاف الشفة التي تبسم هازئة لأن ورائها أنياباً تنهش نهشاً . أخاف اليد التي تضرب لتثأر بلا ثأر ، أخاف الذم القبيح المختبئ وراء شهد التمليق وتكلف السكون ، كل هذا أمقته وأذدريه .

لذا أخالف البشر لأنني أرى في ذلك شقاء الحياة وعذاب الآخرة ، وهم يرون في ذلك السعادة والهناءة والغبطة وسارعني وتركني في مكانى واجمة لا أبدي حراكاً ، ولما استفقت قليلا وجمعت أطرافي وتابعت المسير اعترضني شبح جميل ودنا مني وكأنه عثر على لقيطه كان ينشدها ، وبادرنى القول قبل أن يتمكن الخوف من قلبي — أى وجهة تقصدين يا صغيرة فأجبته أفتش عن طريق صالح يمهد له سبل المسير .

فابتسم وقال أنا خير مرشد لك وسترين في مصاحبتي هدايتك إلى الطريق الذي ترغبينه — قلت ومن أنت حتى تصاحبني ؟ . .

فتعجب لقولي وقال كيف تجهليني وأنا شريك الحياة ومهد اللهو والسرور فهيا معي .

مشت رعدة في جسمي ، ولكنني تحملت الألم وقلت له : دعني وشأني إذ يخيل إلى أنك ماكر مخادع .

فتضخمت معاني البغض في صورته وصور الرعب في عينيه ، وسار بي عنفاً إلى مكان لا أعرف له بداية ولا نهاية .

وهناك على القرب مني رأيت سرباً من الطيور ما رأيت خيالاتها من قبل وبصوت أزعجني .

نادي الشبح بأعلى صوته وماهي إلا برهة حتى اجتمعت الطيور حوله فقال هل عرفت من أنا .

قلت لعلك ملاك تلك الطيور وحاكمها خليفة سليمان عليه السلام

فاستضحك مني وقال : هذه هي مظاهر الحياة وسأكشف لها غطاءها ، لأنك ما زلت في مهد المعرفة طفلة

ثم أشار إلى الطيور إشارة خفية فخضربين يدي مسرعا طائراً أعجبني شكله وراقني منظره وبادرني قائلا : انتظري ولا يغرك جمالي الذي اوقع كثيراً في حبائله ، انتظري لتعرفي سري الخفي

ياذات القلب الصامت . أنا الكذب والنميمة والافتراء . أمهد سبل الحياة الفاسدة تلعب وتلهو فيها للبشر فابتعدت عنه مذعورة قائلة : أتركني لا أريدك أيها الشيطان المخيف .

وذهب عني وبعث إلي طائر آخر خلقته وجماله بدعة من بدائع الخالق ، وما دنى مني حتى قال : أنا الذي سكبت الحلاوة واللذة في الخمور وأحلتها لشاربيها أريهم السعادة في الكأس واللهو وطار عني ، وحضر غيره يفوقه جمالا وهيبة قائلا : أنا باعث أنوار الملاهي ومبدع جمال الفسق والفجور وطار عنى ، وحضر أخ له يتيه دلالا ويقول : أنا قاتل الفضيلة وعدو الشرف ومشيد منازل الفساد في المدينة والعامل على وقوع البشر في شرك الفساد ، ومحلل الرذيلة . . .

هنا عييت عن الوقوف وأغمضت عينى واقتربت إلى الشبح قائلة الا انقذنى من موقفي ، فأجابني هنا طريق ولا يستطيع أحد أن يتبع سبل الحذر والتحفظ ، وعبثا يحاول أن يخرج من بين هؤلاء إلا بعد أن يكون أسيراً لمطامعهم وأغراضهم ، والآن أرفع لك الستار عن حقيقة شخصي لتعرفي من أنا . لانى أستشف من عينيك

سلامة قلبك. وخلع جلبابه فرأيت صورة شيطان ينزعج المرء لسماع وصفه. فتركته وسرت بخطوات واسعة أفتش عن طريق يهديني إلى المسير، ولما ضللت الطريق مكثت وحدي أبكي بكاء مراً، وبلطف النسيم لامس كتفي لامس، فذعرت وقلت من أنت؟ اتركني وكفاني ما لقيت من الخيالات في طريقي.

اتركني لأني ضعيفة وحقك ولا أستطيع احتمال تلك المخارف كلها، فلاطفني وقال: قد رأيت صور الحياة الحقيقية، فرأيت ملاك الفضيلة كيف قل ناصروه حتى اختفى وراء ستار الظلام ورأيت شيطان الرذيلة كيف ألبسه البشر رداء السعادة، فهدأت نفسي واقتربت منه قائلة: ولم يمهد هذا الشيطان سبل الفساد إلى البشر، ولا رادع له.

فأجابني لقد خلت القلوب البشريه من الفضائل وإن قل عددها فكل فرد لا يفكر إلا فيما يسعده في وقته، وليت الناس يعلمون حقيقة أعمالهم لاجتنبوا الضار واتبعوا النافع.

قليل أولئك الذين يعملون العمل الصالح للمنفعة العامة. ولما كان عدد هؤلاء قليلا كان الفوز لأنصار الرذيله.

فليت القوم ينتبهون من غفلتهم وعلى نور المعرفة يسيرون في طريق الحياه المشرقة .

فما أقسى حياة الرذيله وما أتعس المرء الذى يسير في تيارها الجارف غير هياب ثم قادنى إلى طريق فسيح ، وسار بى إلى مكان منير وغاب شبحه

وأيقظني من غفلتي هتاف صاح يقول :

« سلام على حياة كاد الفساد يسحقها ومرحى بالحياة التي يرفرف فيها علم الفضيله »

هنا فقت إلى نفسي فرأيت ظلام الحياة حالك والنور ضئيل فمتى يقوى النور لينير لنا الطريق ، فعلى الرجل والمرأة ان يعملا معاً في اصلاح هذا السراج حتى ينير المدينة فنرى الحياة المنيرة لشعاع الحرية

حول تحرير المرأة

يكاد يتفق جميع الناس على أن قوام الأسرة ونظامها في يد المرأة ولكن يشوب هذا الاتفاق اعتقاد الاغلبية منهم أن الفتاة فى استطاعتها أن تدرس أصول إدارة تلك الاسرة في منزلها بطريق

ما تتلقنه فى المنزل بطريق الادارة المنزلية سواء أكانت ناقصة أو شبه كاملة وكأنى بهم يرون بمنظار ضعيف الحياة العائلية شبه خيال يسرح فيه عقل الفتاة كما تحب وتهوى ، فسواء أكان الخيال نافعاً مغذ للروح ، أم ضاراً يؤلم النفس ، لا شأن لها بما يعود عليها بالنفع الكثير ، لذا لم تصبح هناك ضرورة ماسة لبقاء الفتاة في المدرسة زمناً طويلا تستكمل دروسها فيه وسرعان ما يقف أهلها وذويها في طريق سيرها ظناً أن بقاءها في المدرسة حتى تتم دراستها عار ومنقصة

ولا يعلمون أن البيت مملكة تحتاج لعقل راجح وذهن متقد وأن البيئة المنزلية تحتاج كل يوم لتغيير برنامجها ويدخل فيه شيئاً عجباً او جديداً ، أو تقوم بعمل تجارب ، ادركت معارفها من سجل الكتب أو سمعت عنها أنها نافعة لرقي الأسرة ونهضتها ، فكيف ترتقي الفتاة إذا كانت حياتها درس واحد ، لا تنوع فيه لا تغيير .

ولن تتخذ من المعرفة الحقة معنى سامياً لراحة الجسم بعد العناء ولتعوض ما فقده الجسم وقت العمل المحض من القوة ، وكيف يتسنى للفتاة إذن السير في طريق العلم والرجل يهمس في أذنها

ويحك يا فتاة اليوم إن العلم قد زادك فساداً .

أليس هذا هو رأي الرجل السخيف لعمري إنه لرأي فاسد لا يخلو من الظلم لأنه يسري على المرأة وحدها ، إذا كان حقاً أن التعليم يزيد المرء فساداً .

أوليس بين الرجال المتعلمين من نالوا قسطاً كبيراً من العلم وهم مع ذلك يتمرغون في بؤر الفساد ، فهل نأخذ أمثال هؤلاء حجة على فساد العلم وان الرجال يجب ان يحرموا منه ؟

وإذا كان الأمر كذلك فبأي حق يحكم الرجل على المرأة المتعلمة وحدها هذا الحكم القاسي وهو بالحكم أولى .

إن نتيجة التعليم الخالية من الثقافة والتهذيب واحدة على الرجل والمرأة ، فلا تكن أيها الرجل قاسيا عليها وحدها .

هكذا نحسنا المرأة حقها ؟ وحرمت من التمتع بحلاوة العلم لتبقى على الدوام متعطشة فتكون أسيرة الرجل وعبدة له . وكادت تتخذل فى الميدان لولا قوة باقية من الايمان في صدرها أوحت إلى روحها الصبر لكي تفوز بالنصر القريب .

وأرخى الرجل الستار على وجه المرأة ظناً منه عن جهل أو سوء قصد ان تمتع المرأة بحريتها والتوسع في نطاق تربيتها وتعليمها

يفضي إلى فسادها فوضع بينها وبين العالم الخارجي حجابا تاما ، ولكن إذا نظرنا إلى الحقيقة المجردة نجد أنها خلاف ما يرى .

فان الحياة الخارجية أقوى درس تتعلم منه المرأة منهج الحياة ، إذ ما تعانيه من المشاق في تجاربها الخارجية ، يمهد لها سبل الراحة في الحياة الداخلية ، ويرشدها إلى السعادة المنزلية ، ويروض عقلها ، ويوسع مداركها .

فالواقع يحدثنا أن الغربيين الذين اشتغلوا بالتعليم ومارسوه ، وسارت نساؤهم بجانب رجالهم وتركت لهن الحرية ، قد أسسن بيوتهن على السعادة والهناءه ، وأنهن بعيدات عن الفساد والانحطاط كما يتوهم رجالنا المصريون .

على انني لا أنكر على انصار المرأه من رجالنا الكرام فضلهم بمصارحتهم أن سبب الشقاء العائلي هو عدم الاختلاط بين الجنسين وهذا حق لامراء فيه .

وإن ذهبت مع الرجعيين ووافقت على رأيهم في عدم الاختلاط يكون لي بعض الحق الوقتي ، ولكن بعد زمن قصير اذهب منهم وانادى بالاختلاط ، إذ التربية الاخلاقية الآن تحتم على الصمت المؤلم لضعفها

لكن هذا الضعف داء في نفس المرأة والرجل على السواء، وليس لدينا حيلة إلا ان نهذب كل من نفس المرأة والرجل، ثم نترك للجنسين حرية الاختلاط منذ نعومة أظفارهما ، فتنشأ الفتاة بجانب الفتى يحيط بهما سياج من الآداب والاخلاق والتربية الحقة .

بعد ذلك نرى بلا شك السعاده ترفرف بجناحيها فوق رأس الأمة عالياً، ويومئذ تقوّم العائلة على الأسس الطيبة الصحيحة ، وتحوطها ملائكة الارتقاء والحب والوفاء

على أنه يجب على المرأة ان تعانى من الآلام اشدها حتى تقطع المرحلة من الحبو إلى المسير ، ولابد انها تحسن السير بعد ان تعالج الحياة العملية ، وتتزود من العلم والتهذيب بقدر كبير ، ويكون نصيبها يومئذ من الرقى كنصيب الرجل تماماً إذ انها مساوية له فى القوة العقلية ، بل تفوقه في دقة الاحساسات والعواطف وإن ظهر لنا فرق بينهما في وقتنا الحاضر ، فذلك لأن الرجال مارسوا العلم اجيالا فاستنارت عقولهم وتقوت عزيمتهم بالعلم والعمل بخلاف النساء، فانهن حرمن من نور الحياة وحلاوة التعليم الراقى، فما يشاهد الآن بين الجنسين من الفروق صناعى لا طبيعي .

ولا اقصد بهذا التساوي ان كل قوة وملكة في المرأة تساوي كل قوة وملكة في الرجل ، فقوة الرجل العقلية قوية والقلبية ضعيفة ، والمرأة على النقيض منه على انه إن كان للرأس الحكمة والادراك . فللقلب التأثير والنفوذ .

فكل من الرجل والمرأة ناقص . فلنهذب قلب الرجل كما ربينا قلب المرأه . إذ المرأة بلا إدراك . والرجل بلا قلب . فهما سواء في عدم الصلاحية للمجتمع

فبأي حق جاز للرجال ان يستعبدوا المرأة ويحرموها من حريتها ، وفى اي جيل انزل الله كتاباً من عنده يقول فيه احرموا المرأة حرية الحياة . وقيدوها بالسلاسل لأنها خلقت لكم اسيرة يا معشر الرجال .

إن حكم الرجال ان المرأة ضعيفة لا تحسن التصرف والحكم عليها بالسجن المؤبد في عقر دارها حكم لا عدل فيه ولا انصاف لذا تستأنفه معشر النساء . إذ هناك عدد كبير من الرجال بلغ بهم الجهل والفساد منتهاه . والجامعة البشرية لا تحرمهم حرية الحياة .

وأخيراً فكل ما قيل ويقال من ان حرية المرأة تعرضها

للخروج عن حد العفة كله كلام لا أصل له ، إذ التجارب المؤسسة على المشاهدات الصحيحة تدل على أن حرية النساء تزيد فى ملكاتهن الادبية ، وتبعث فيهن روح الاحترام لأنفسهن ، وتحمل الرجال على احترامهن .

فعلينا نحن الفتيات أن نعمل لتكسير هذه القيود ، والخروج على هذه التقاليد العتيقة ولا بد أننا بالغات غايتنا بكفاحنا واجتهادنا فنبلغ الغاية أو نقرب على البلوغ .

المرأة والحب

وكتب كاتب يصرخ من الفتاة المنعلمة ويقدم إليّ عتبه لأنني أنادى بوجوب تعليم المرأة وختم حديثه بقصة تعزز رأيه « إن الفتاة كلما تعلمت زادت فساداً »

قال الكاتب :

لي صديق إذا استفسرته عن الحب فهو جماد ولكنه غني ومن عائلة طيبة تسكن بجواره من تتأبط كل صباح الكتب والمحابر وصله منها خطاب نصه ما يلي :—

شريك القلب :

لست بآسفة على ضياع حياتى هباء إذا كان فيها الجلوس بقربك إنك ذا قلب طيب وذا ضمير سليم، لذلك لا تفكر في التي ترجو أن تلقاك كل ساعة .

إنك عزيز فى نفسي ... أحبك لأني أرى كمالك مجرداً من كل شائبة ، أحبك لأنك ذا وجدان بعيد عن النقائص ... إنني معذورة في حبك فلا تلمني إذا كنت البادئة .

وإنى لا أعلم تماماً أن الفتاة يجب ان تكون محتشمة او كما يقلن لي صويحباتى « تتقل وتتمنع » ولكني أحبك ولا أعلم باعثاً خاصاً على هذا سوى أنى رأيتك ، فانى أود ان تشملني بنظره ، وما بعد النظره .

سلاماً عليك فقد اقتربت والدتى من الغرفة وأخشى ان تقرأ هذا الخطاب ولعله مع قلته اكبر مقياس لعواطفى نحوك ؟

هذا هو خطاب فتاة ما زالت في مهد التعليم طفلة ، جعلها الكاتب مقياساً لاخلاق المرأة المصرية .

حبذا لو استطعت أن ألمس ما يشبه الحقيقة حتى أرد عليك

رداً جميلاً

ولكنني سأقول ما أراه واضحاً أمامي وأمامك وأمام ناصري كل منا ، وأتحدث به إليك بنغمة الهدوء خوفاً من اشتداد العاصفة فتتألم .

الحب تيار جارف يهتز له الطفل في مهده ، والفتى في ريعانه والشيخ في هرمه ، والفتاة في خدرها ، والمرأة في دارها ، فهل كل هؤلاء مجرمون لأنهم محبون ، فما أبعد نظرك إن كان حقاً ماتقول لأنك تحكم على الجامعة البشرية أنها خلو من الأخلاق ما دام قائدها الحب ، والحب جريمة لا تغتفر .

إني أعلم أن في حديثك من المبالغة لشيء كثير ، إذ مهما بلغ الطيش من الفتاة لا يتدئ الفتى بالحب ، وإن تأججت العاطفة في قلبها فالحياء يمنعها من تقديمها على مذبح الطيش والجنون .

وليكن حقاً إن الفتاة طائشة وبدأته كما تدعي ، فهل تستطيع ان تأخذ على الفتاة ذنباً لأنها أحبت .

إنك لو تفاهمت مع عقلك قليلا لاشك أنك تخرج من دائرة الفهم بالحكم الصحيح فتبعد الفتاة عن حكمك القاسي .

من الظلم يا حضرة الكاتب ان تخرج الفتاة من دائرة العقلاء لأن عاطفتها تمت وترعرعت أتريد ان تجعل للحياة قانون الجفاء والقساوة وتقول هذا هو الحق وتكون القلوب تكويناً جديداً من صلب وكل من تمدد قلبه بحرارة الشمس المحرقة رغم قوته رفعت قضيته أمام محكمة الجنايات ليحكم عليه بالاعدام .

أتريد ان نجعل القلب خالياً من القوة بعيداً عن الحاسة حتى يعيش خلو من الأمل والادراك والرجاء (مهذباً كاملا) كما يعتقد الكاتب .

إن المرء لا يستطيع ان يعيش في مكان مظلم خال من أشعة الشمس التي تنيره وإن فعل جنى على نفسه بالبلاء وسرعان ما يقضى نحبه فكيف يمكن المرء ان يبعد عنه تيار قوي لا يقوى على مقاومته ، وإن جاهد بكل قواه . تلك هي مشيئة الله فأي قانون من قوانين الحياة وأية سنة من سنن الوجود تريد أن تبدل مشيئة الله .

لنترك هذا التخريف بعيداً ولنتفاهم فى حب الفتاة إن كان حقاً ماتقول .

ألا يصح ان يكون هذا الحب تآلف روحين بعيداً عن

نقائص الحب وشوائبه . فما أشقاك فتاتى البريئه .

والعدل يقضى أن تخرج الفتاة من القضية بريئة لأنها لا زالت في مهد العاطفة الطائشة طفلة ، ومتى كان المرء فى هذا السن رجلا او امرأة عنوان أمته ياحضرة الكاتب .

أو ليس بين الرجال من يقدم على الحب بنقائص هي جريمة أمام الشريعة والقانون فلم لا نوجه إليكم معشر الرجال لومنا متألمين قائلين أنكم سبب البلاء .

أليس بين الملوك والأمراء من ترك عرشه في سبيل عاطفة أكلت قلبه فهل عاقبته الجامعة على حبه ، وحكمت عليه أن تعليمه ورقيه أصل فساده فأنزلته من مكانه الرفيع إلى الحضيض .

فمن الظلم ان نظلم المرأة وهي بالعدل أولى .

والآن لنفرض ان المرأة ضعيفة أفلا يمكن تقويمها .

إن من يملك آلة ميكانيكية فيها خللا ينشأ منه ضرر ألا يجدر بمالكها ان يسرع في اصلاحها حتى لا يزيد خطرها .

فالمرأة تماثل الآلة ذات القوة والرجل مالكها ألا يجدر به ان يصلحها بنفسه ، ولو أجهد نفسه فيبث في روحها الفضيلة

والكمال ويطهر نفسها من كل ما علق بها من الخبائث فتظهر من وراء الستار كأنها الزهرة النضرة تنبت في الصحراء ليس فيها من ضرر بل فيها عطر للناس.

حنانيك سيدي الرجل لا تصرخ من عاطفة المرأة الوهاجة ولا تتألم فلولا تلك العاطفة ما استطعت ان تقتحم لجج الحياة ولولا رجاءها وعطفها في حبك لعجزت عن القيام بمتاعب الحياة، ولولا تشجيعها إياك، وبث روح الاقدام في نفسك ما استطعت ان ترفع علم الجهاد لتنال أمتك النصر على يديك، منها تستمد القوة الخفية ثم تنكرها عليها فما أقساك؟؟

إن استطعت يا صاحب القلب الجامد ان تمنع تيار الحب من دخول قلبك، تقدم حينئذ راضياً مطمئناً إلى المرأة، وأرشدها إلى الطريق الصحيح الذى يساعدها على مكافحة هذا التيار القوي.

أما الآن فلا تجهد نفسك بما لا فائدة منه، إذ الضرير لا يستطيع ان يرشد ضرير مثله إلى منعرج الطريق، وأصلح من أمر نفسك ثم اصلح المرأة والله يحب المصلحين.

وكأني بك تغالط نفسك وتخادع ضميرك: فارجع إلى حكم

العقل فهو صادر عن عدل حق وروية وها نحن نرى من وراء الستار طائر روحك لا يقوى على الصعود في جو السماء .

فدع الحب للقلوب الحساسة الطاهرة الشريفة ، ولا تجهد نفسك بالبحث على مقره . لأنه كامن في خفايا القلوب الطاهرة ، ولا يمسها إلا المطهرون .

حديث الربيع

نعم وللربيع أحاديث تملأ القلب غبطة وسرورا ، وتسافر بالروح إلى ما وراء الغيوم لترى أسرار الحياة .

دنت الراحة فهزني طرب الربيع لادراك محاسنه ، وأرخى الشفق سدوله على الأرض ، وزخرفت السماء بخيوط من الذهب والفضة .

هب النسيم فهبت معه روحي من نومها العميق واستيقظت حواسي الكامنة للتمتع بجمال مرئيات الربيع .

راقني جمال الطبيعة وأشجاني نغمات حفيف الاشجار ، وشعرت أن روحي تخرج مني رويداً رويداً لتسترسل في خيالها الجميل لتشعر

بالراحة والطمأنينة : استصحبت معي احدى صويحباتي وجلستا معاً على العشب الاخضر ، كل منا صامتة لا تنبس ببنت شفه ، كل منا تفكر في سر عميق كامن في نفسها لا تدركه الأخرى .

طال بنا السكون ففاتحتها قائلة : أراك عزيزتي محولة وجهك عني ، وإذا تعمقت في وجهك رأيته حزيناً مفجعاً .

هل بك أمل غزا نفسك فثقل على فؤادك وغدرك فشعرت بالقنوط . . .

أم جاهدت لتنالين أمنيتك فاعتراك فشل يخالطه الرجاء .

خبريني بربك أي علة آلمتك فأخرست لسانك هاعيناك قرب أشعة القمر جامدتان جمود من فقد حسه .

هنا قرأت في عينيها حديث نفسها الحزينة الكئيبة ، لكنها أوقفت تيار تأملاتي بحديثها ، وعيناها مغروقتان بالدموع وفتحت شفتاها المتلبقتان كأن قبلة الاسف طبعت عليهما . . .

ما أغرب حديثك يا صاحبتي كيف يسأل العليل عليل آخر يشاركه في العلة والداء عن أعراض علته وكان أحرى به أن يسائل نفسه لأنه يشعر بألم مستكن في نفسه ، كيف لا تشعرين بآلامك

وكيف تجهلين حقيقتها وكلنا في المرض سواء .

كان يجدر بك ياصاحبتي أن تدعى السؤال لبشرى يخالفنا ولا تستفسري عن شيء كامن في نفسك . . .

هيا انظري إلى مواكب الربيع الجميلة ، وهي تسير في عالم اللانهاية ولا يراها أحد لأنهم لا ينظرون إليها بعيون مبصره تتعمق في سرها ، فان اشتدت العاصفة صرخوا واستغاثوا وإن هبطت تأوهوا وتألموا . على أنهم لا يعلمون سر هبوطها وشدتها إذ لو أدركوا سرها لأخذوا منها درساً عملياً في الحياة .

أنظرى إلى هذه الازهار والرياحين وما لها من جمال .

أنظرى إليها ياصاحبتي ترينها تستنشق الهواء بكل ما فيها من قابليه . فلماذا قدر على بني الانسان أن يكون دون النبات حرية .

فأجبتها بعد الصمت الطويل .

إن الطبيعة غير مقيدة بسلاسل التطور ، فكل نبات يعيش حراً متصرفاً في شأنه مدى الدهور .

فلديك الفل لا يخرج من عطره رائحة الياسمين ، والياسمين لا يخرج من عطره رائحة الريحان ، ولا ينبت كل منهما إلا في التربة

التي اعتاد النمو فيها ، ولا تخرج الثمرة إلا من بذرتها الطبعية ، ولا تصلح إلا إذا تعهدها الزارع بعنايته .

أما الانسان فهو ما زال يحارب بعضه بعضاً ، ولم يكتف بما خصه الله بل أراد ان يكون له شأن في الحياة غير شأنه الذي خلقه الله من أجله .

فالرجل يدعي القوة ويريد أن يستحلها لنفسه .

والمرأة تنشد الحرية وتريد ان تقف بجانب الرجل في ميدان الجهاد والعمل .

وكل من الجنسين متمسك بعقيدته ، فالرجل متمسك برأيه والمرأة تشهر سيفها لتدافع عن نفسها ليكون النصر حليفها .

ولم يعلم كل منهما أن كل إمرئ يحي حياته وعليه أن يجد طريقه بين مختلف المسالك وهو مسئول عن كل عمل يأتيه ويتحمل نتائجه إن فائدة وإن أذى .

فقاطعتني وكيف للفتاة او الرجل السير فى طريقهما وكل منهما مقيد بأحكام التطور ، ولا يمكن لأحدهما نزع هذه القيود خوفاً من اللوم والتقريع ، فها نحن نرى بعض الرجال ينادي بتعميم التعليم

وخاصة تعليم البنت ، وفي الوقت نفسه يضن به على ذويه ظناً منه أن ما تتلقنه الفتاة في المنزل كاف لتأهيلها لمعيشتها المستقبلة ؟

ومما أعجب له أنه يصرح قائلا — قد منعت ابنتي من اتمام دراستها وكتفاها التعليم الابتدائي ، ويفخر بقوله إني أحمل عليها عندما تقول (لاتحرمني من التعليم يا أبتاه ودعني أتم دراستي فانني راغبة في المزيد) . يا للتعاسة فتاة تستعطف والدها ليترك لها الحرية لاستنشاق هواء العلم فيقتل أملها المتأجج في قلبها المتوهج بالرجاء .

ألا فاسمع يا رعاك الله : ليس المنزل قادراً على تهيئتها للحياة المستقبلة ، وليست المعلومات التي تدرسها في المنزل كافية لتثقيف عقلها وتهذيب نفسها فاخرجها من هذا العقر المظلم ودعها ترى نور الحياة ، وتستنشق هواء تجارب الحياة الصغرى فتقوى عزيمتها من البداية ، ولا تحمل عليها تلك الحملة القوية ، فما هي إلا غصن نضير يحتاج للري والرعاية .

إنك تقتلها وتشقيها من حيث تريد لها السعادة والهناءة ، اترك الفتاة تسير في ميدان العلم وتقتحم لجج الحياة مادام نور الامل ينير لها الطريق ، وإياك ان توقفها عن المسير ، فيسري الفساد إلى

روحها . وهنا تكون جلبت لها التعاسة من حيث لا تدرى .

إنك لو حرمتها من التعليم ، برهنت على جهلك وعدم تثقيف روحك ، إذ لو كنت بلغت خداً كبيراً في التثقيف لعلمت أنه لا فرق بين الفتاة والفتى والصبية والصبي والمرأة والرجل ، فكما يسمح للرجل من الطفولة إلى الكهولة باقتحام الحياة ، كذلك يجب ان يسمح للمرأة ، فكما أنه جاهد في بلوغ غاياته ، كذلك يجب أن تجاهد الفتاة دون مساعد ، وتذوق من الحياة حلاوتها ومرارتها فابعد عن نفسك هذا الوهم الباطل ، واعلم أن المرأة أوفر من الرجل نبلا لأنها أقرب منه إلى سرائر الاحوال ، وقلب الاشياء .

كانت تتحدث صديقتي وكأن الرجل أمامها وتود لو انها تقرأ صحيفة افكاره فتحدثه حتى تسمع له رياً جديداً .

هنا داعب الكرى جفني فصحبتها ، وقمنا كل منا مبتهلين إلى الله أن يعلمنا كيف نخرج من قيد القيود الى جو العلم والارتقاء الى مأوى راحتها .

﴿ حبذا لو كان الرجل شجاعا ﴾

أنتم أيها الناس تذكرون كل شيء سركم وأبهجكم ، أما أنا فلا أذكر إلا ما آلمني وأحزنني ، فما أغمضت عيني عن هذا المحيط إلا ورأيت خفايا حقائق مجهولة ، ولا صممت أذني عن ضجة الاجتماع إلا وسمعت أحاديث صامتة توحي إلى نفسي العذاب والألم ، ورغم أنني كنت أتوق إلى معرفة أسرار هذه الخفايا المجهولة واشتاق إليها شوق الرضيع إلى ذراعي أمه ، كان شوقي محفوفاً بآلام تعذب روحي المسجونة في ظلمة الحداثة مثلما يتعذب الطائر في سجنه .

هناك بين الاشجار المتكاثفة المترامية على ضفة النيل فتاة تبكي وتنتحب ، وقد مال ميزان النهار والجو حالك الظلام لا ينيره إلا أشعة قمرية تظهر من بين الأغصان كالعروس المسجونة التي تنظر من وراء حجاب خيفة ان يراها احد .

اقتربت من هذه الفتاة وأنا أتراجع خطوة خائفة وأتقدم أخرى بعامل الاستطلاع والشفقة ، ولما تحققت منها تقدمت إليها مطمئنة متسائلة عن حالها .

ذُعرت لرؤيتى لأول وهلة ولكنها عندما سمعت نغمة صوتى الهادئة ارتاحت إلي وحولت وجهها نحوي بعد أن مسحت دموعها بأطراف بنانها قائلة :—

شكراً لك يا آنسة فقد حضرت إلي في الوقت المناسب، إذ ضللت الطريق ولا أدري فى أي مكان أنا ، لأنني لست من البلدة ولأل مرة حضرت فيها ، لذا ترينى خائفة ؟ ؟

فأجبتها مبتسمة ، إن المدينة عامرة يا عزيزتى ، وليس هناك ما يدعو إلى ذعرك وخوفك ، فهل طال بك المكوث هنا أو جدّ لك أمر أخافك .

قالت ؟ أخافني وحدتى في المكان ، وقلة المارين به ، ورهبة سكونه .

قلت ما أحوجك الى الشجاعة في ساعتك ، لم لا تستفسري من المارين عن الطريق .. بدلا من بكائك وعويلك ؟

أجابتني والدمع يترقرق في مآقيها ... كل من يمر كان بعيداً نائياً عني ولكن منذ زمن لا أخاله بعيداً مر بى رجل عرفت من مشيته وهيئته أنه ذو مكانه ، ولما كان قريباً مني دنوت منه متسائلة

عن الطريق فأعرض عني وحول وجهه بعيداً وكأنه لم يسمع ندائي وسؤالي وذهب عني صامتاً لذا قد بكيت .

قلت ولم لا تسألين غيره بدل أن تلجئين إلى البكاء وتمثلين المرأة في طور ضعفها حينما كان متمكناً من قلبها :

فقالت أبكاني أن الاحسان نزع من القلب البشري فما أتعس الانسان .

وما كانت قطرات الدمع سوى الآهات التي أخرجها قلبي من سوء بدائه على زوال الايمان من قلوب البشر .

وهنا إصطحبتها معي وأنا أسائل نفسي مسترسلة في أحلامي لم لا يجبها هذا الرجل ويدلها على طريق الخير .

ومأسرنا يضع خطوات حتى مر بنا رجل ذعرت الفتاة لمرآه ، وقالت منفعلة هذا هو الرجل الذي مر بي . ولعمري انه شرير .

فتركتها دون كلمة وأسرعت الخطى وناديت سيدي ؟

فالتفت إلي ووقف عن مسيره مجيباً ندائي باستعاض قلت إنني ضللت الطريق ، فهل لك أن تصحبني معك إلى المدينة .

فأجابني في استطاعتي أن أدلك بالاشارة ، ولكن لا أستطيع

أن أصحبك إلى المدينة وظهر على وجهه كل ما ارتسم في عينيه من الازدراء والألم ، ثم تبرم ، وود لو يصفعني على خدي لا بتعد عنه ولكن نظرت إليه نظرة المسترحمة المستعطفة قائلة :—

هل من مانع قوي يمنع سيدي ؟ فرادف حديثه قائلا :

إنك لا تعلمين يا فتاتى حديث الجماعة لو رأوك معي وما ذا يكون نصيبك ونصيبي لو رآنى بجانبك أحد معارفك أو معارفي لا شك أنه يسيء الظن بنا، فهل أنت بعد ذلك في حاجة إلى الايضاح .. إذن دعيني أشير لك على الطريق المؤدي إلى المدينة العامرة وكفاك حديثاً .

قلت مبتسمة : رحماك ياسيدي دع الوساوس والحياء للنساء ولعمري أراك تمثل رجلا جديداً ، فما كان ظني ان هناك رجلا حييا خجولا يرعى التقاليد ويخشاها حتى في مواقف الاحسان .

فسامح تطفلي ان قلت بشيء من العجب ما أضعف قلبك .

لم تظلم نفسك ياسيدي وتقسو عليها هذه القسوة وقد وهبك الله الشجاعة والاقدام ، دع الحياء والخجل للمرأة ، فهذا من حقها الطبعي ، خذ لنفسك رادعا إذ المرأة اليوم تفكر كيف تداوي

تلك العلة المعيبة ، بينما الرجل يسرع إليها عجباً ؟ فقاطعني ،

عفواً يا فتاتي إنك محقة فيما تقولين ولكن ألا تعلمين أننا في زمن نسير فيه تبع تقاليدنا العتيقة ، ولو أراد امرئ ان ينهض بنفسه من هذه القيود لقي من العذاب اشده ؟ قلت كيف ننشد الأمة الحرية في حين ان الفرد الواحد لا يستطيع ان يستحلها لنفسه . إن العمل الخيري يا سيدي لا يدخل في التقاليد أيترك الرجل امرأة يقذفها اليم ويخاف أن ينشلها من الغرق فيراها الناس بين يديه عارية فيعذبوه أو يخشى المرء لوم الناس لأنه جبان ويقول تلك هي التقاليد أيسير الرجل في طريقه هارباً من فتاة تسترحمه أن يرشدها سواء السبيل ويقول هذا هو الشرف وذلك هو العدل مادام يرضى الناس والتقاليد !

تباً لهذه التقاليد العمياء يجب أن نرفع الستار عنها ونعلم أنفسنا كيف نسير في طريق الحرية الشخصية ، ثم نطلب النهضة القومية . على انني أعتقد يا سيدي أن المرء لو كان محسناً شريفاً لما سار تبع تقاليده إذ شفقته ورحمته وشجاعته الادبية تكن له قائداً في معترك الحياة .

ولما رفعت بصري إليه رأيته ينظر إلي نظرة مستفسر

يستخرج الحقيقة من مكمنها فأردفت حديثي قائلة :

إذهب ياسيدي في طريقك ما دمت تخشى الناس وسأعلم نفسي كيف أسير فى الطريق وحدي ولن أخاف لوم الجاهلين ولن اتخذ من بطش التقاليد جبناً ؟ ؟

رجعت إلى الفتاة فوجدت اليأس كاد يتسرب إلى قلبها فاصطحبتها معي إلى المدينة حتى وقفت عن المسير ، وقالت قد عرفت من هنا كيف أسير وحدي دعوتها إلى منزلي فأبت معتذرة شاكرة ، وسارت في طريقها مطمئنة بسلام .

يقولون أن الجبن مهد الراحة .

وقد يكون ذلك صحيحاً عند الذين لا يشعرون كثيراً والذين يعيشون كالأجساد الهامدة الباردة فوق التراب ، فالمرأ الحساس الذي يشعر كثيراً ويحسن متى استطاع إلى ذلك سبيلا ، هو أتعس المخلوقات أمام الجامعة البشرية ، لأن نفسه تظل واقفة بين قوتين هائلتين ، قوة خفية تحلق به في السحاب وتريه محاسن الكائنات من وراء ضباب الأحلام ، وقوة ظاهرة تقيده بالأرض ، وتغمر بصيرته بالغبار وتتركه ضائعاً خائفاً في ظلمة حالكة .

ها نحن نسمع كل يوم من الأغلبية الساحقة ما يجب على المرأة أن تترك حياءها الذي يعوقها عن التقدم وتتسلح بسلاح الشجاعة الادبية ، وها هو اليوم يقدم لها الدواء لكي يزول الداء ؟ ولكن كيف السبيل إلى استشفاء المرأة ، وقد أصبح الرجل والمرأة في العلة سواء .

لا خير في رقي ينشد تحفه الضعف والهوان .

مصر تناديك

مسكينة مصر الفتاة إنك لمظلمة الجوانب قاتمة النواحي . في كل يوم نزداد آلامك وشجونك ويكثر حنينك إلى ساعة من ساعات سعادتك وهنائك ، وتشتد رغبتك إلى نور الحياة الحرة ، وتطلبين من يرفع رايتك .

أسمع ندائك يا أماه من وراء الابعاد الساحقة ، وأرى شبح خيالك منتصباً يحوطه سياج من الظلام الحالك فيزعجني امساك الصامت وتؤلمني آلامك المبرحة وأود لو استطيع أن أرفع ديباجة وجهك لأرى أثر اليأس والقنوت :

لا تقربى السيف من عنقك يا أماه ، ولا تنتحري فهناك على مقربه منك جماعة تعمل على تكسير تلك القيود الحديدية رغم شدتها وجبروتها .

لاتيأسي يا أماه وخففى عنك وطأة آلامك وانصتي إلى هذا الصوت الحنون المنبعث من آفاق السماء :

أنصتى إلى نغماته الشجية ، فهي كفيلة أن تبعد عنك أحزانك وآلامك وتهبك من السعادة ما ترغبين

أرى عينيك تحول جهة جماعة واقفة في زاوية طريقك تهددك بسيوفها المختفية وراء ستار الظلام ، ولا يسمع أحد صوتها إلاك :

لاتنزعجي يا أماه من صورتهم المخيفة ، حديثك مؤلم ويتموج مع نغمات الهواء ويعيد على مسمعي انين قولك

أيها الخائنون ماذا فعلت بكم حتى أستحق أن أكون هدف ظلمكم وعسفكم ، أنتم أقوياء كما تدعون ، وأنا مقيدة فلم تبيدونى بالاوجاع أن حياتى أحق من حياتكم فلم تسعدوا أنفسكم وتشقونى : على طريق السعادة يمهد لي المسير أبنائى البررة فلم تهدمون تلك الابنية وعلى طريق الشقاء تأخذونى .

كفاك حديثاً بربك يا أماه : أصمتي بربك فنغمة حديثك تؤلم نفوسنا فلا تقوي على الدفاع ونغمة صمتك المحفوفة بالآهات توحي إلينا الشجاعة والاقدام ، صوتك يخرج الدموع من محاجرها وها هم أولادك المخلصون يمهدون لك سبل الراحة والهناءة بأيديهم تاركين امانيهم يحققها ربك الكريم .

لا تعرضي عنا يا أماه فنحن محتاجون لقربك ، وها نحن نود أن نقترب منك لنواسيك ونعزيك ، ولكن ليس هناك من يقودنا إلى نور الحياة حتى نصل إليك في وحدتك ، فنخفف آلامك وشجونك ونبعد عنك يأسك وقنوطك .

أطلبي من ربك أن يوفقنا للسير في طريق راحتك حتى نرى أيام السعادة فيك ونلتمس وجه الحياة في أرجائك .

أصبري على قساوة أولادك المفسدين في طول بلادك ما دام لك أنصار وأعوان أقوياء فالله كفيل أن يهبك السعادة عن طريق المخلصين من أبنائك .

ما أتعس الانسان وما أشقاه يجذبة الدهر بابتساماته فيسترسل في حلمه العميق فينسي كل شيء ما عدا نفسه :

ينسى وطنه ، ينسى أمته ، ينسى واجبه المقدس ، ولا يذكر وقتئذ إلا نفسه ومصلحته الشخصية .

هناك في عالم الاحلام يعتلون عروش العظمة ظناً منهم أنهم إمتلكوا ناصية الامة يحكمون فيها ويأمرون ويقولون ويتقولون ويظنون ويزعمون وكأن حكمهم أمراً مقضيا .

ولكن سرعان ما تدوي الاصوات المزعجة المعبرة عن حقيقة حياتهم المزيفة فيتلاشى هذا الستار فينتبهون من غشيتهم ويقومون من سباتهم العميق وما هي إلا عشية أو ضحاها حتى يخرون من على عروشهم متأوهين صارخين نادمين على ماقدمت أيديهم من السيئات وهكذا تنتهي الساعة السعيدة المزيفة التي قضوها في حلمهم فيروا حقيقة الاحلام حياة مرة .

وقتئذ يعلمون أن لكل فرد منا حياتان :

حياة الواقع التي يعيشها متأثراً بالواجب المقدس لا أمل له فى الحياة غير أمل سعادة وطنه — وحياة العمل الخيالي التي يرغب في أن يعيشها لنفسه . والفرق بين الحياتين كالفرق بين الوردة النضرة التي يستخرج منها المرء منافع شتى وبين الزهرة الذابلة التي

لا رائحة فيها ولا فائدة — أو كالفرق بين الملائكة التي خلقت لتسبح بحمد ربها لتخفف ذنوب البشر وتدعو الله أن يرزقهم من من حيث لا يحتسبون وبين الشياطين التي خلقت لتفسد في الارض ليكون مأواهم جهنم وبئس المصير.

فتباً لتلك الارض التي حملت تلك الشجرة وتباً لتلك الشجرة التي حملت تلك الفروع ، وتباً لتلك الفروع التي حملت تلك الثمار الفاسدة التي جلبت للبشر المرض والوباء وجازى الله سقاتها ميله النيل شر الجزاء.

فاياك أختي الفتاة أن تخرجي لمصر وطنك ثماراً فاسدة توحي إلى الامة اليأس والعذاب.

قومي عزيمتهم من الصغر وأغرسي في قلوبهم بذور حب الوطن العزيز حتى تحصد مصر ثمار السعادة والهناءة.

عودهم الشجاعة والاقدام حتى يكون ثمرك ناضجاً طيباً حلواً فيستطيع أن يخرج أمته من لجة النار الحامية ويقيها حرارة الشمس المحرقة من لهيب الاستعمار ويظللها بغمامة الحرية والاستقلال.

النفوس البشرية

تشعر الروح بالطمأنينة عند ما تسكن إلى أمها الطبيعة بعد العناء، حتى ولو في المنام مسترسلة في خيالاتها الطيبة.

هناك في وسط إحدى الحدائق أخذت أطوف أبحث عن مكان مستور عن الأنظار فأبصرت عن كثب فتاة مضطجعة على العشب الاخضر يخيل للرائى من جلستها أنها حزينة كئيبة وبدافع لا أعلم باعثه أسرعت الخطا حتى دنوت منها وألقيت عليها التحية وحدثتها حديث مجاملة اللقاء، فتضاحكت وقالت:

أشكر لك عطفك ويسرنى أن أراك بعد مدة طويلة فشكراً لهذا الوقت الجميل الذي سنح لنا باللقاء — وبعد فانى جئت هنا لأتلقى دروس الحياة عن الطبيعة، فكل ما يجهله الانسان يراه في تلك البقعة الخضراء، وأما وقد حضرت إلى هنا فهيا معي نطوف الحديقة وعسى تتمتعين بما تنشدينه من التسلية، سرت معها إلى أن بلغنا شجرة قد تنتحت أزهارها وضحك نوارها، فلفت نظرى شيخ جالس تحتها يقطف الذابل من أزهارها ويرميه على الارض بعيداً.

فنظرت إلى صاحبتي متسائلة لم يفعل ذلك :

قالت هذا مثل المتشائم الذي يعتقد أنه إذا بكي صبيحة يومه قضى اليوم كله حزيناً كئيباً، وأنه في وجود الازهار الذابلة بجانب النضرة بلاء فيقضى عليها دون أن يفكر كيف يمنع هذا الذبول .

فدعينا منه وهيأ بنا إلى مكان آخر ولم نسر خطوه حتى رأيت على القرب منا شجرة عالية باسقة الفروع ، وكأن صاحبها نسي أن يتعهدها فخلقت غصونها من الاوراق والازهار ، وبالقرب منها شيخ يضم أغصانها ليستظل بظلها .

فقالت صاحبتي وكأنها أدركت أنني في حاجة إلى المعرفة . . هذا هو المتفائل الذى يستبشر بما لا بشر فيه .

ثم تابعنا المسير إلي أن بلغنا قطعة أرض مغطاة بالازهار الجميلة يتعهدها شيخ يأخذ ما ذبل من أزهارها ويغمره في الماء ، ثم يرتبها باقة زهر ويضعها أمامه معجبا بها .

فقالت صاحبتى ؟ هذا محب الانسانية الذي يحاول أرجاع الحياة لمن في القبور ، ثم سرنا في طريق آخر ، فرأيت شيخاً جالساً على الرمال يشيد منها قصوراً وينسقها بالأغصان ، ولكن

الرياح تأبى أن تريه نتيجة لعمله ، فتهب عاصفة على ماشيده فتذهب به وهو يتابع العمل غير عابث بما يعانيه من التعب .

فقالت صاحبتي هذا هو المتوهم الذي يقيم من أوهامه آمالا ...

فخلفناه وراءنا وسرنا إلى مكان آخر فبلغنا شيخاً يقطف الازهار من كل خميله وينسجها كما يصور له خياله .

فقالت صاحبتي هذا هو الخيالي الذى يحوك من ورق الاشجار رداء يلبسه ومن الخيال قصراً يسكنه مطمئناً إلى عمله . . .

وهنا أزعجنا صوت آت من بعيد فسعينا حيث خرج الصوت وإذا بشيخ قد ولّى ظهره شطر الاشجار الكثيفة وظل ينظر إلى الازهار الضاحكة ، ثم يولي عنها مستبشراً ناظراً إلى السماء متأوهاً ، ثم يولي عنها إلى الشمس متعجباً متؤلماً ساخراً .

فقالت صاحبتي هذا هو الدهري الذى ينصرف عن الكليات التي تتجاوز فهمه إلى الجزئيات التي لا طائل تحتها .

فتركناه وانطلقنا إلى مكان آخر وجلسنا حيث أخذ التعب منا مأخذاً لا حد له فحدثتني صاحبتى قائلة :

هل رأيت تلك الأشباح ، وهل أدركت سر نفوس البشر ،

ثم ابتسمت ابتسامة خرساء ، وعادت تقول ، قد رأيت بلا شك كم نفس خيّره ، وكم نفس شريره ، وها أنت رأيت روح الخير في الانسان أصبحت ضعيفة ، بل تكاد تكون معدومة .. إذ سارت الاغلبية في طريق الفساد حتى ضلت طريق السعادة وماذا تنتظرين من بلاد شرها أكثر من خيرها .

أين الفتى المصري القديم . . . أين هو الآن . . . لقد سقط في الحضيض جرياً وراء شهوات نفسه الطائشة التي جلبت له التعاسة والشقاء .

ها هو يلهو ويلعب ، ولا يعلم أن الدهر سوف يصوب له طعنة نجلاء فتصيب قلبه ، ولا يدري كيف يعالج نفسه .

وليس الفتى وحده سبب انحطاط وطنك ، بل أنت الجانية وعليك تقع التبعة .

ألست أنت أمه في الصغر وأخته في الكبر ورفيقته في الصبا

ألست أنت الباعثة في جسمه روح الشباب والقوة ، فان كانت متينة التكوين نشأ قوياً وكان مناراً لبلاده وإن كان ضعيفاً كان هو البلاء فأنت وحدك الملومة وأنت وحدك البائسة وأنت الوحيدة

التى تستطيعين أن تسعدي أمتك أو تشقيها . فقاطعتها مَن مِن البشر يستطيع أن يرفع صوته عالياً معبراً عن رأي اختلج في صدره، لعمري أنه يجازى أشد الجزاء ويلاقى من العذاب أشده .

أظنك لست بعيدة يا عزيزتى عما يحدث في إرجاء المدينة ، فكم من أفراد رفعوا أصواتهم فى سبيل الحق ، وكان جزاءهم الظلم والاستبداد . ولولا قوة إيمانهم وعزمهم لخفتوا صوتهم من التهديد مبدئياً .

هنا نظرت إلي نظرة ملؤها العطف والحنان وتعمقت في عيني كأنها تقرأ سرها ، ثم أرخت عينيها بهدوء وقالت قد قرأت في عينيك إن الانسان مهما أوتى من المعرفة فهو جاهل سر الحياة ، ومتى أدرك الناس أعماق روحه فقد طوى كتاب حياته ، ومتى بلغ أوج كماله ، فقد قضى نحبه . . بل هو كالثمرة إذا نضجت سقطت واندثرت ثم قالت خير لك أن تذهبي الآن عني يا صاحبتي لأنك لا تستطيعين أن تفقمي قولي لأن عقلك قد تلوث بغيوم الجهل والغباوة فأنت وحدك الآن تسمعين قولي وترين وجهي ، وليس غيرك مجيب لدعواي إن كنت استطعت أن تفهمي مني بعض

الحديث، إرفعي صوتك ورتلي على أمتك أنشودة الحياة وقولي لهم إذا لم ترم حياتنا إلى مستقبل أنبل وأبهى من حاضرنا فيالشقوة مصر .

الزواج القهري

في حديقة النزهة التقيت بصديقة لم أرها من عهد بعيد وبعد المصافحة وطول العتاب دعتني لزيارتها في الغد لنتحادث طويلا ولتفضي كل بذات نفسها ، وقد تعودت كل منا الاطمئنان إلى صاحبتها .

وقرب مساء اليوم التالي ذهبت إليها لتلبية الدعوة مضطرة لأن مشاغلي الكثيرة حالت دون التبكير وما وطئت قدماي أرض الحديقة وسرت بضع خطوات حتى سمعت صوت تنهدات عميقة فالتفت فماذا رأيت .

رأيت فتى غارقا في هواجسه وهو زائغ البصر بادى النكد وعليه مظاهر الضعف ، وقد أخذ الجهد منه كل مأخذ وأعياه النصب ، فسمعته يقول : . . أي رب كيف أعيش فى هذا الشقاء

الدائم ، وطالما تعللت بالباطل .

إني أنشد السرور مع هذه العروس ولكن أراه بعيداً نائياً عني.

أراك أيها الموت معرضا عني ، فاقترب مني لأصافحك ، فقد مللت الحياة وسئمتها .

إني أرى الحياة مظلمة قاتمة وأسمع تغريد الطيور يشبه الصراخ والعويل كأنها تبكي على شبابي الآفل وحياتي المريرة الاسحقا لك أيها الشقاء .. أبتعد عني وربك فقد ضقت بك ذرعاً .

فحزنت لحاله وأسرعت إليه لأرى ما به إذ أدركت من صوته أنه زوج الصديقة ودنوت منه ، فوجدته حزيناً كئيباً .

فسألته سيدي المحترم مالك تشكو الحياة ومرارتها . ولديك هذه الحديقة والمنزل البهي .

أين زوجك لتؤاسيك وأمك فتعزيك . . فأجابني زوجي أين هي لتواسيني وهي سبب شقائي وأمي لتعزيني وهي أصل بلائي فهما يعملان معاً على تعاستي .

إني حزين تعس فأرجوك أيتها الآنسة أن تبتعدي عني لئلا تتصل بك عدوى النكد مني ، إنني وربك سيء الطالع .

فقاطعته ، كفى فانكم دائماً تقولون « أن زوجاتكم وأمهاتكم أصل بليتكم ، وتتوهمون ان أيام السعادة فى الحياة قصيرة ، وأيام البؤس والشقاء طويلة ، ولو كنتم أقوياء النفوس تستقبلون نعم الله بنفوس قانعة لا استطعتم أن تحتملوا خطوب الحياة ومنا كدها بغير تبرم ولا تذمر » فقال ماذا يفعل الرجل منا لو وجد نفسه في بيئة تمهد له التعاسة وتجعل حياته كلها شقاء فان استطاع ان يكيف خلقه ومشاعره كما يشاء ويهوى فى الخارج ، فهو لا يستطيع ان يكيف معيشته في منزله ، وهو مهده المعد لراحته ولديك قصتى لتكونى عذيرتى .

عند ما بلغت الحادية والعشرين من عمري منعتني والدتى عن المدرسة لتزوجنى فتاة من قريباتي ، فأبيت صارخاً متوسلا إليها ، ولكنها غضبت علي وقالت هي قريبتنا فلابد لك من الزواج منها وانت تعلم أنها جميلة وغنية وعوضاً عن أن تذهب وما لها من الثروة للغريب يجب ان تكون لنا ، ويعلم الله يا بني أنني أريد لك السعادة من حيث لا تحتسب ، وأرانى مشوقة لاراك صاحب بيت ورب عائلة .

فازددت كرها في الزواج وقلت لها أستحلفك يا أمى بكل عظيم تحت السماء ألا تزوجيني بهذه الآنسة لانها غير متعلمة ، ولا تعرف كيف تعاملني فهي وإن طرقت ابواب المدارس كما تقولين إلا انها لم تنل من التثقيف والتهذيب قسطاً كبيراً .

فاستاءت مني والدتى وعاملتني باللين مرة والقسوة مرة اخرى حتى قبلت مرغماً معللا نفسي بالسعادة التي يتخيلها الشباب عندما يلجون هذه الحياة الجديدة راجياً ان أجد من الهناءة والسعادة ما يغير فكرتى الراسية في عقلي المؤلمة..

وها قد توالت الساعات علينا وكرت الشهور ونحن في شقاء دائم فاذا اتيت من عملي متعباً وسألت عن زوجي أجدها خارج الدار في النزهة والزيارات وإن وجدتها وسألتها ان تقدم لي شيئاً مرطباً تجبني !.. إذهب للمطبخ وسل الطباخ ما تريد .

او تكلمني بالغلظة وإذا خرجت ودعانى صديق إلى منزله لاتناول معه الشاي او العشاء ورجعت متأخراً قليلا واعتذرت لها عن عدم تمكني من اخطارها بذلك نظرت إلي شذراً قائلة .

كان يجدر بك ان تبيت في الخارج عند صديقك زيدي

ذلك ما تضيفه من الاحاديث المؤلمة ، وان ذهبت لأحيي الدنى في غرفتها تدعي أنها تغريني عليها بالسخط والزجر ، واذا كانت هادئة الاخلاق يوما تجلس أمامى تئن وتصيح من الخدم طوراً ومن اخي تارة فتسمعها أمى فتحضر لتبرر موقفها امامي ويعلو الكلام والجدال بينهما وأنا حائر ماذا أفعل ؟

فأن اقتربت منها وأمرتها السكوت تصرخ وتولول وان دنوت من أمي ونصحتها بالصمت تقول . . . يالك من ولد عاق ظالم تنكر تربيتي لك وتفضل هذه الزوجة عني .

ولقد أراد الله ورزقنا ولداً فما رأيتها يوما تعطف وتحنو عليه تاركة شئونه للخدم تفعل به كيف تشاء ، فلا تراع طعامه ولباسه ولا مرضه لتسعي في شفائه ، وهي لا تلتفت الا لزينتها وزياراتها ونزهتها . . أفلا تعلمين يارعاك الله أنه بلغ حب السلطة من النساء لدرجة تنسيهن الحنان والعاطفه

فقد جاء قديماً في كتب التاريخ أن إحدى الجاهلات فقأت عين زوجها لتفاخر بمالها من دلال وسلطة ولتتسلم أمر قيادته وهذه أخت لها لاتلين ولاترق ، وكذب من قال أن البيت هو الملجأ الناعم

للرجل ، وأن المرأة هي الساحل الذي يأوى اليه بعد ثورات الجهاد الحيوي ، وفي رقتها وحلاوتها ما يزيح الهم عن القلب .

جازاك الله يا أمي لأنك زوجتني قهرا فجعلتني أتجرع مرارة الحياة غصصاً متتابعة ، ثم صمت لحظة كأنه يستعيد ذكرى نفسه المتوجعة ، وقال متأوهاً والآن ليس لدي إلا فكرة واحدة أن أخرج من الحياة كارهاً كما خرج غيرى بأرادة نفسه . . فقاطعته :

هون على نفسك الأمر يا سيدى ولا تكن جبانا ضعيفاً أين قوة إيمانك وشجاعتك وإقدامك . .

أنكم خلقتم معشر الرجال لمكافحة الحياة ، حارب مصائب الحياة بقوة بطشك ، واياك أن تخذل نفسك ، نقب قضيتك ، وفتش لها عن علاج ، بدل أن تحكم على نفسك بالاعدام .

ألا فاسمع . ذكرت أن امرأتك مستبدة ميالة للسلطة ، فلم لا تحتملها بصبر وتعاملها بسعة صدر حتى لا تجد سبيلا الى شدة الحرص على تلك السلطة وأن تسلك معها مسلك الملاطفة . وإذا ما اشتد بك الغضب اخرج إلى تلك الحديقة واسترح على اريكتها الخضراء السندسية واستنشق من الازهار أريجها فتنشل نفسك من الهموم والآلام .

تعال هنا عند ما يشتد غضبك واطفئ جمرته في دولة الفضاء فترسل عليك الطبيعة نسيمها اللطيف الذى يحمل إليك البشرى إن الله يحبك ، واعلم أن لكما طفلا يجب أن يربى على الحنان والعطف ، ومن اين يتم ذلك ، وهو يرى النزاع متصلا بينكما فاكراماً له وحباً فيه اجتهد أن تعاملها بالعطف وحدثها بنغمة الوداع

هيا ياعزيزتى نربى معاً هذه الثمرة اليانعة ، واخبريني أنت كيف نهذبه ونربيه ، لما لك من الخبرة واللطف ودعة الأخلاق ، وفي المساء بدل أن تسهر خارج دارك فيما لافائدة منه اجلس بجانبها أمام المصباح واقرأ لها قصصاً مفيدة وأخباراً علمية اديبه إن شئت ، أو حدثها بما فيه معنى ذلك لتكون بمثابة درس تتلقنه منك بدون أن تشعر ، لأن ذلك يعلمها الخضوع ولين الجانب ، ولكي ترضيها هي ووالدتك كن في جانب الاثنين ، ومتى رأيت الخصام مشتعلا أطفئ جمرته بلطفك وعذوبة الفاظك ، واستعمل كل ما تستطيع من حكمة وسياسة لتوفق بين روح الاثنين ، وتركته قاصدة الصديقة فلقيتني أمه فى الطريق باكية نائحة تبكي سوء طالع ولدها متأوهة حزينة تندب حظها الذي رماها بين يدي هذه الزوجة الطائشة :

تقدمت إلى الوالدة متجاهلة مستفسرة عن حالها ، فقصت علي قصة ما أغربها ، فأجبتها تندبين سوء حظ ولدك وتبكين فلماذا ؟ وقد أخرجته من دور العلم ظناً منك أن السعادة طوع يديك ، وقد شيدت سعادته كما ترومين ، ثم تتأوهين من زوجه. ألست أنت التي اخترتها من بين الفتيات جميعاً وقد أخذت على عاتقك ألا تزوجيه سواها لأنها غنية وجميلة . فلماذا تتألمين من نتيجة قضية أنت الحاكمة فيها هوني على نفسك وفكري كيف تبعدي عنك وعن ولدك وزوجه هذا الشقاء ، وها أنت رأيت نتيجة جهلك بسبل حياة ليس من السهل أن يلقى عبئها على كاهل ولدك فهلا علمت أن الجمال أصبح تعاسة وشقاء ، والفتى فقراً وعذابا .

وتركتها ودخلت على الصديقة فرثيت لحالها ولكنني مسكت زمام ألمي وسألتها عن حالها فقصت قصتها فلم يسعني وقتئذ إلا تهدئة روعها وتخفيف مصابها ، وحدثتها قائلة كوني يا عزيزتي مستودعا للهناء لتبعثي في فؤاد هذا الزوج أشعة الصفاء واجعلي منزلك فردوساً لروحه تشجيها بالنغم اللطيف .

ألا تعلمين أن في ابتساماتك من القوة ماليس للرجل في كل

أعضائه ، ونظرة من نظراتك ، تفعل من السحر ما لا يفعله المنوم المغنطيسي .

أنظري إلى ملابسه ليكون حسن الهندام ، فيمدح الجميع ترتيبه بفضلك أعتني بتربية طفلك حتى يكون عضواً نافعاً ، والقي عليه دروس حب الوطن واعلاء شأنه ولا تدعيه يمرح ويلعب بين الخدم . فينشأ فاسد الأخلاق عالة على قومه ، وكوني كما وصفك الحكيم سليمان « المرأة الفاضلة ثمنها يفوق اللآلئ »

ما أجمل البيت الذي تديره إمرأة حكيمة هادئة رزينة في منزلها تعلو أغاريد اطفالك فيه وهم ملائكة السماء ، فكوني حازمة لطيفة وديعة لتخفي عنه عناء الأعمال والمشاغل الخارجية .

احترمي والدة زوجك كاحترامك لوالدتك واجعليها مشورتك في كل شيء حتى ولو كانت أضعف منك علماً ومعرفة ، وناقشيها في كل شيء تريدين عمله بحلم وهواده . واجعلي لها من صدرك متسعاً للغضب والشدة إن فعلت . وإياك أن تخبري زوجك بما يحصل بينكما من عناف وتظاهري امامه بالسرور حتى ولو كنت حزينة كئيبة فيقدرلك عملك الطيب فيجازيك خيراً بلطفه

وإخلاصه ، ويسير في طريق الاصلاح حتى ولوكان من قبل شريرا

فيا قوم تبصروا في عاقبة ذلك الزواج المنحوس وما يتبعه من الشقاء والحزن وسببه الاقتران العميانى :

مسكين أنت أيها الشاب لأنك تتزوج بدون أن تعرف شيئاً من أسرار هذا الزواج .

لا تعرف هل توافق أذواقك مشارب عروسك ، وهل هي لطيفة معشر تصلح لان تسوس زمام بيتك .

أسفي عليك شديد فحالتك هذه كمن يشتري ورقة يانصيب ربحت أو خسرت أخيراً معه .

أما أنت أيتها الفتاة فأرثى لحالتك لاننا معشر النساء لا تهجنا في الحياة غير مؤانسة العواطف ، ولا نسعد إلا بها فلو تعرفنا بسيدة لا تروق في نظرنا لا نستطيع مقابلتها مرة ثانية ولو تقابلنا معها عن غير قصد تألمنا وتبرمنا فما بالك لو اقترنت بشاب يخالف مشاربك وماذا تعملين إلا ان تتحملي المعيشة التعسة وتقضي حياتك في شقاء إلى أن تحملي على الاعناق إلى القبر .

فاخرجي الآن من عالمك المقفول المجهول وسيري مستقيمة في

مسالك العفاف وافتحي كتاب السعادة وخذى منه العظات البليغة وقلدي أجدادك الفضلاء واجعليهم مرآتك المصقولة وصوغي لنفسك من عرائس جمال الطبيعة أطواق الفضيلة ومنطقي ذاتك بالعلوم والحجى . واحتذي بالصدق والاستقامة . وانسجي لك ثوباً من بلاغة الانبياء واقطفي من روضة اختبارات الحكماء ورود الادب الوفي ، وزيني بها صدرك الصغير فيفوح شذى نيتك السليمة . وسيرتك القويمة إلى قرينك المحبوب في عمله . وفي كل خطوة من خطواته فيستريح من الأعمال .

هذه ياعزيزتى أحسن الحلي والثياب التي تجعله ساجداً تحت أقدامك غيراك كبدر الدجى في الليلة الظلماء فما قيمة المال والجمال أيتها المرأة أزاء تلك المحامد كلها .

إلى هنا يأبى قلمي إلا أن يكون عصيا وحسبي ما كتبته ناشئاً عندنا من عدم الحكمة فلتراعيها لهدم البؤس المظلل على سماء السعادة العائلية وإزالة الشقاء المفقد لمعنى الزوجية .

رب متى تنظر الأمهات والآباء لهذه المسألة بعين الاهتمام ففي السعادة العائلية سعادة الامة وهناؤها .

حديث الصالونات

شعور الكد والجهد يملأ روحي وقد مللت الكتب الصامتة وسئمت الجلوس بين المحابر والاقلام فأي ضرب من ضروب التسلية الجأ إليه ترويحاً لهذه النفس المتعبة.

سرحت بيصرى في ارجاء المدينة علّني اهتدي على مأوى يبعث إليّ الراحة والطمأنينة سرت في طريق على غير هدى فوجدتني أمام دار صديقه لي ولكم دهشت حينما سمعت الاصوات الصادرة من داخل الدار فلقد خلتها من البداية اصوات مشاجرة عنيفة احتدم الجدل بين اصحابها . صعدت درجات السلم بقلب يخفق بشدة مشوقة لمعرفة حقيقة الأمر وماذا حلّ بالصديقة . أسرور أم شقاء

ولم تكد قدماي تستقران عند مدخل حجرة الاستقبال حتى ابصرت جمعاً حافلا بالسيدات والأوانس ، وقد وقفن مرحبات بشخصى الضعيف . . . يا للهول . . . هل اعود القهقري أم ادخل معمعة الاحتفال صامتة .

واخيراً وجدت ان الظروف تحتم على الدخول وعدم التراجع

دخلت وتحيرت من ابدؤها التحية ومن تستحق السلام وأخيراً حييت الجميع ، ثم اتخذت لى مكانا وما استقر بى المقعد حتى رأيتني وسط جمع حافل أو بعبارة أخرى . وجدتني وسط مظاهر المدينة وزخرفها . . رأيت وجوهاً عليها الادهان والاصباغ . بشرة ناعمة ووجنات محمرة وشفاة أرجوانية وأسنان ناصعة البياض وعيون مكتحله وحواجب مزججة بالسواد . ولكن كل ذلك الجمال من فعل المبتدعات الصناعية لا الجمال الطبيعي الذى يهبه الله لمن يشاء من عباده . . .

التفت إليهن فوجدت عيونهن شاخصة إلي . . .

فلماذا ينظرون إلي ؟ . . .

لأنني أتيت اليهن في اطمارى العادية ووجهي الطبيعي الذى لا أريد أن يكون على غير حقيقة بفضل الادهان والمساحيق .

فيا للعجب أنا أعجب منهن ، وهن يعجبن لي ، إلا أن عجبي منهن سخطاً على مدنيتهن الفاسدة ، وعجبهن مني لعدم ألتفانى في أنواع المدنية وضروب البهرجة المتباينة

وبعد هنيهة سمعت ما يدور بينهن من مناظرات ومباحثات

وأفكار وآراء واقتراحات واستجوابات كلها حول المرأة والمودات والمدنيه والزينات . وأبدت إحداهن رأيها في الازياء الحديثة تفاخر بملابسها لأنها تماثل ملابس حرم الباشا فلان ؟

ترفع صوتها تارة بالمديح وتخفضه طوراً بالتهكم على ملابس غيرها من اللواتى لم تسنح لهن الفرصة لاقتناء احدث المودات .

وعلى حين غرة تقاطعها أخرى قائلة : إن حرم الباشا فلان مهد المودة ومصدر الوجاهة ومنبع الأزياء الحديثة إلخ

وتقول أخرى جميل جداً سأحضر فستان كفستان فلانه هانم

وأخيراً ينتقل الحديث إلى سيدة لا تفكر في شئون نفسها . بل تجهد نفسها لمراعاة شئون بيتها وأولادها وزوجها فيتهكمن عليها ويستهجن أعمالها لانها تضيع عمرها فيما لا يجد على حد تعبيرهن الفاسد نفعاً

وبغتة ينقطع الحديث لدخول بعض الزائرات . . فيتهامسن ويتغامزن . . وأصغي إلى همسهن فأسمع إحداهن تقول : ترى ألم يكن الوقت كافي لعمل التواليت فتحضر دون إتقانه . . .

يالتعاسه شيطان النساء يمثل على مسرح الحياة رواية الغرور الفاسدة .

المرأة أمست في القرن العشرين لا هم لها إلا تجميل نفسها وتزيين وجهها ومحاكاة الغربية في المساوي كالسهر خارج دارها بعد منتصف الليل وغير ذلك مما لا يتفق وتقاليدنا الشرقيه .

فيالها من مدنية فاسدة ويالها من اوهام كاذبة رسخت في ذهن المرأة الضعيفة ، ولكن تباً للرجل الذي يتزوج رغبة في المال أو الجمال ناسياً أن الخلق والتثقيف أس السعادة العائلية .

مسكين أنت أيها الرجل لأنك ستنبذ نبذ النواه ، ولكن الذنب ذنبك أخذت لنفسك الشقاء من حيث تريد السعادة فكان نصيبك حقاً وجزاؤك عادل لانك تختار زوجك عن جهل بدعوى أنك بكل شيء عالم . وهناك نقيصة أخرى أرى قلمي يتعثر كلما أردت التعرض لها بحق غيرتي على سمعة المرأة المصرية لولا أنها كادت ترمينا في الحضيض الاسفل من الذل والهوان ، وهي منافسة السيدات الراقيات في تقديم التبغ والمسكرات وإقامة الرقص والغناء ، ولقد كنا نلوم رجالنا على تعاطي التبغ وتأبى المرأة أن تتزوج برجل سكير فما بالك أنت ياربة الصون والعفاف وقد سرت في تيار السكر الجارف حتي أمسيت والعياذ بالله شيطاناً رجيما .

كانت المرأة بالأمس جاهلة عمياء ، طاهرة نقية ، اما اليوم فأصبحت متعلمة مبصرة شريرة فاسده ، وعندى أن جهلها وطهرها خير من تعليمها وفسادها .

يقولون أن المدنية تقضي على المرأة ان تشرب التبغ وتتعاطى المسكر، فتباً لتلك المدنية الفاسدة ولعن الله منشئات هذا الرأي السخيف . وسحقهن تحت أقدام عدالة العفاف

كنت قبل اليوم تتأوهين بل ما زال البعض منا يتأوه ويشتكي من الرجل ويرفع صوته طالباً النجدة من فساده .

وقد أصبحت شريكة له في الفساد ، فلم تتأففين منه اذاً ؟ .

لقد كثر بلاؤك وعم داؤك فلا تلوميه ولا تقدمي اليه العتب والتقريع فكلا كما في الفساد سواء .

أخبريني بربك ما الفائدة التي تعود عليك من تعاطي التبغ والمسكرات التى كادت ترمينا في هوة الذل والمسكنة .

ويا ليت الامر قاصراً على بلاء نفسك بل تريدين أن تهلكي جميع معارفك ومن يتقدم الى معرفتك حتى تغرق السفينة ومن فيها من الركاب .

ومما يندمل له الفؤاد وتئن تحته الفضيلة ويستغيث منه الحياء كون السيدة تستصحب فتاتها الطاهرة النقية الى مثل هذه الزيارات فتغرس في نفسها من بذور الرذائل والمفاسد ما يقضي على نقاوتها وطهارتها ، فيا لهول الموقف عند ماتسمع الصغيرة أحاديث الوقاحة والشراسة ، وترى بعينى رأسها كيف يدور الرقص دورته حتى إذا ماشبت سرى الداء في عروقها وتأصل وقامت بما أتته أمها وشاركتها في البلاء .

أيتها المرأة بحق الامومة اتقي الله في تربية إبنتك لأنها وديعة المستقبل عندك وعذابك محقق وأليم إن عبثت بالوديعة وعرضتها للهلاك .

على أنه لادا عي للقنوط من أمر تحول المرأة عن غيها وخلالها فقد بدأ المستقبل يبسم لنا ، والشجرة التي أثمرت تلك الثمار اليانعة لا تضن علينا بزهرها النضير .

فاياك أختي المصريه وشيطان الغرور الذي يحوم حولك ويريك وجهك في المرآة جميلا فاتنا بتلك الدهانات ، فانبذيها بربك فالفضيلة خير وأبقى ، واستخدمى أثمانها فيما هو أبقى وانفع ، ودعى

عنك تلك الأحاديث المملوءة بالاغتياب والنميمة في زياراتك ، وحدثينا عن مستقبل حياتك ، وكيف تقومين بنهضة بلادك ، وعامينا الطريقة النافعة لتربية أولادك ، والطرق المنتظمة لترتيب بيتك والوسائل التي تجعل زوجك سعيداً مغتبطاً في حياته إلى غير ذلك مما يجعلنا نتفائل خيراً بالمستقبل .

فالى الامام أيتها المرأة كي تصفو لنا الحياة ، ودعي عنك تلك المفاسد التي تمثيلينها مع زميلاتك على مسرح منزلك ، فانه جعل مهداً للراحة والطمأنينة لا باراً للرذيلة والفساد .

تلك جولة جلتها هاربة من ميدان الادب ، قاصدة ميدان المدنية الكاذبة . ورياضة أردت أن أروح بها عن نفس التعب والجهد فأين هذا من رياضة العقل الذي رجوتها فى زيارتى .

وهذه بعض أناشيد الصالونات التي يتغنى بها النساء ، وتلك أحاديثهن التي يرتلونها في أوقاتهن ورواياتهن التي يسهرن لمشاهدتها فى الخارج بعيداً عن منازلهن ورعاية أطفالهن إلى منتصف الليل . فبئست المدنية الفاسدة .

فاصلحي حالك أيتها المرأة فالله يحب المصلحين .

للمؤلفة

كتاب

سعادة المرأة